كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المسجل بوزارة الشؤون رقم ٨٣٣

العددان: الثامن والتاسع | شعبان ، رمضان ١٣٦٩ مايو — يونية ١٩٥٠ | رئيس التحرير على محمد الضباع | السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن

بقلم فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحيم فرغل البلينى

المدرس بكلية الشريعة الاسلامية

— ٣ —

ثم قال الله تعالى :

« يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية »

(بيان وجه الربط)

وجه الربط أن الله تعالى لما ذكر النفخ فى الصور، وذكر تخريب العالم السفلى والعلوى إيذاناً بقيام القيامة ؛ ذكر ما يكون بعده من الحساب والجزاء — كل ذلك ليذنبه المشاعر ويرهف الأحاسيس ، ويشعر الناس بالمعاد وما يليه ، ليقلعوا

عن غيهم ، ويثوبوا إلى رشدهم ، ويذعنوا لأوامر ربهم .

(بيـان المعنى)

«يومئذ» بدل من «فيومئذ» قبلها . والتنوين فيه عوض عن جملة محذوفة ، والتقدير : يوم إذ ينفخ فى الصور تعرضون ، والذى صحح الابدال مع اختلاف الزمان ، أن يوم النفخ فى الصور يوم متسع يتخرب فيه العالم ، وتقوم فيه القيامة ، ويكون فيه الحساب والجزاء .

« تعرضون » تحاسبون ، وإنما عبر عن الحساب بالعرض تشبيهاً له بعرض السلطان الجند ليتعرف أحوالهم فيختار المصلح لتقريبه وإكرامه ، ويظهر المفسد لتعذيبه وإبعاده .

وقوله : « لا تخفى منكم خافيه » حال الضمير من فى تعرضون .

و (المعـــنى)

يوم ينفخ فى الصور ويتخرب العالم ، وتقوم القيامة ، تحاسبون على أعمالكم غير خاف على الله عز وجل سر من أسراركم التى كنتم تخفونها فى الدنيا ، وتظنون أنه لا يطلع عليها ، ونظير ذلك قوله تعالى : « ولا يخفى على الله منهم شىء » — أو تعرضون غير خاف على الناس ما كان مخفياً منكم فى الدنيا ، فانه تظهر الأحوال وتكشف الأستار ، ونظير ذلك قوله تعـــالى : « يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر » .

ثم قال تعالى :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه ، إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا

هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » .

(بيان وجه الربط)

وجه الربط أن هذه الآيات ذكرت لتفصيل أحكام العرض بعد إجمالها فى قوله تعالى : « يومئذ تعرضون » .

(بيـــان المعنى)

« فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه »

« أوتى » أعطى . والمراد بالكتاب ما يكتب فيه الملائكة ما عمله العبد فى الدنيا .

وقوله : « فيقول » أى لأهله وأقربائه سروراً بنجاته لما أعطى كتابه بيمينه وكلمة « هاؤم » معناها خذوا . والهاء فى « كتابيه » للسكت ، وليست ضمير غيبة؛ وحقها أن تحذف وصلا وتثبت وقفاً ؛ ولكنها ذكرت فى الحالتين عند الجمهور إجراء للوصل مجرى الوقف . وكلمة « كتابية » منصوبة بأحد العاملين قبلها على التنازع .

واختلف فى معنى إيتاء الكتاب باليمين والشمال : فحمل الجمهور ذلك الاعطاء على حقيقته ، وأن الصالح يمسك الكتاب باليد اليمنى ، والطالح يمسكه باليد اليسرى

وقال بعضهم : إن العرب تعبر عن القوة باليمين ؛ وإذا عبر بها عن القوة جاز أن يعبر بالشمال عن الضعف ؛ وبناء على ذلك يكون المعنى :

إن من عرض عليه كتابه ليأخذه يوم القيامة ؛ فأقبل على أخذه بقوة وعزيمة لشعوره بانه مستودع الصالحات ، وسجل المكرمات ؛ فانه يعلن السرور ؛ ويظهر الحبور ؛ ويكون فى عيشة راضية .

وأما من قدم اليه كتابه ليأخذه فخارت عزيمته ؛ وفترت قوته ؛ وضعف عن التقدم اليه ؛ لشعوره بانه: ديوان السيئات ؛ وسجين المخزيات ؛ فانه يدعو على نفسه بالهلاك ؛ ويعلن الفزع والجزع ؛ ويعلوه الهم والألم ؛ ويكون فى عيشة مؤلمة ؛ كلها بؤس وشقاء ، ونكد وعناء .

وبناء عليه يكون التعبير إيتاء الكتاب باليمين أو بالشمال؛ أو من وراء الظهر تمثيلا وتصويراً لحالة الانسان عند أخذ كتاب أعماله يوم الحساب .

و (المعنى)

من أعطاه الله عند العرض كتابه الذى دونت فيه الملائكه أعماله، وأحصت فيه أفعاله ؛ بيمينه ؛ فيقول لأهله وأقربائه من فرط سروره بنجاته وفوزه :خذوا اقرؤوا كتابيه ؛ وما ذاك ليفرحوا له ؛ ويسروا بسروره ؛ لأن العادة جرت بان الحبيب يسر بسرور حبيبه ؛ وأن القريب يفرح لفرح قريبه .

« إنى ظننت أنى ملاق حسابيه »

(الظن) هو إدراك الطرف الراجح ، : فاذا كان فى أمر من الأمور احتمالان ، وترجح عندك أحدهما على الآخر؛ كان ذلك ظناً. أما إذا استوى عندك الأمران ولم تستطع ترجيح أحدهما ؛ كان ذلك شكا وإذا جزمت باحدهما وقطعت به ، كان ذلك يقيناً . وإذا أدركت الطرف المرجوح ، كان ذلك وهماً .

فاذا كنت تصلى مثلا ؛ وتردد فى ذهنك تعيين ما صليته ؛ فتارة تقول : صليت ثلاث ركعات ؛ وأخرى تقول : صليت أربعاً ؛ فاذا ترجح أحد الأمرين كان ظناً ؛ وإذا تساويا ؛ كان شكا ، وإذا جزمت باحدهما كان يقيناً . أما إدراك الطرف المرجوح . فانه يسمى وهماً — فافهم هذا التحقيق واحرص عليه .

وذلك الظن الصادر ممن أوتى كتابه بيمينه يكون فى الدنيا — والمراد من الحساب ، الحساب اليسير الذى حصل له . فان ذلك لا يتمين به — أما الآخرة ووقوعها وما يكون فيها فكل ذلك متيقن عند كل مؤمن .

وإنما ظن الحساب اليسير ورجحه لمزيد وثوقه برحمة ربه عز وجل — ولعل ذلك الظن يكون عند الموت ، فقد دلت الأخبار على أن اللائق بحال المؤمن حينئذ غلبة الرجاء وحسن الظن ؛ وأما قبله فاللائق استواء الرجاء والخوف ، بل تغليب الخوف على الرجاء .

وعلى ما تقدم تكون هذه الآية واقعة موقع التعليل لما تشعر به سابقتها من حسن الحال .

و (المعنى)

إنى فرح بعد البعث ، مسرور عند العرض، مغتبط عند الجزاء ؛ لأنى ظننت بربى وأنا أسلم روحى أنه يحاسبنى حسابا يسيرا ، وقد عاملنى بما ظننت ، لأن الله عند ظن عبده به .

فقد ورد فى الحديث القدسى يقول الله تعالى :

« أنا عند ظن عبدى بى ؛ فان ظن بى خيراً ظننت به خيراً »

وقيل : المعنى ، إنى ظننت أنى ملاق حسابى على الشدة والمناقشة لما سلف منى من الهفوات ؛ والآن أزال الله عنى ذلك ؛ وفرج عنى ؛ وأكرم وفادتى ؛ وعاملنى معاملة فيها الرحمة الواسعة . والمغفرة الشاملة .

« فهو فى عيشة راضية »

« العيشة » الحياة . و « راضيـــة » بمعنى مرضيـة . اسم فاعل بمعنى اسم المفعول .

و (المعـــنى)

إن الذى يؤتى كتابه بيمينه يكون فى حياة يرضى بها ولا يسخطها ، ويطمئن اليها ولا يمقتها .

قال ﷺ فى وصف حياة أهل اليمين فى الآخرة: « إنهم يعيشون فلا يموتون أبداً ؛ ويصحون فلا يمرضون أبداً . وينعمون فلا يرون بأساً أبداً . ويشبون فلا يهرمون أبداً »

« فى جنة عالية قطوفها دانية »

« عالية » مرتفعة . والقطوف جمع قطف بكسر القاف؛ وهو ما يجتنى من الثمر بخلاف القطف بالفتح فانه مصدر . ومعنى « دانيـــة » قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع .

و (المعـــنى)

إن هذه الحياة المرضية تكون فى جنة مرتفعة المكان والمكانة ؛ فيها ثمار قريبـة التناول ؛ سـهلة الادراك ، يدركها القائم والقـــاعد والمضطجع والنائم بفيه .

« كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية »

« كلوا واشربوا » أمران قبلهما قول محذوف . والتقدير : يقال لهم : ذلك فى الجنة من قبل الملائكة .

وليس الأمر بالأكل والشرب أمر تكليف . بل هو أمر امتنان واكرام —

وإنما جمع الضمير فى « كلوا واشربوا » مراعاة لمعنى « من » فى قوله : «من أوتى كتابه » لأن لفظها مفرد ومعناها جمع .

وكلمة « هنيئاً » صفة لمحذوف ، والأصل : أكلا وشربا هنيئاً ، أى لا تنغيص فيه .

والباء فى «بما أسلفتم» سببية ، ومعنى « أسلفتم » قدمتم من أعمالكم الصالحة و « الأيام الخالية » هى أيام الدنيا الماضية .

(المعـــنى)

إن أهل اليمين يقال لهم فى الجنة من قبل الملائكة على سبيل التهنئة والتبريك — كلوا واشربوا ، أكلا وشرباً لا تنغيص فيهما ، ولا ألم يعقبهما ، كما هى الحال فى طعام الدنيا وشرابها . وذلك بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة ، والافعال الطيبة فى حياتكم الأولى حياة التكليف والابتلاء .

ثم قال تعالى :

« وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ماحسابيه ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه » .

(بيان وجه الربط)

وجه الربط أنه لما كانت العادة جارية أن أهل الأرض ينقسمون إلى مقبول ومردود ، وذكر سبحانه وتعالى المقبول ، وبدأ به تشويقاً إلى ماله ، وتغبيطاً بعاقبته وحسن مآله ، أتبعه بذكر المردود تنفيراً من أعماله بما ذكر من قبائح أحواله ، فذكر هذه الآيات .

(بيـــان المعنى)

وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيـه ، ولم أدر ما حسابيه » .

« ياليتنى » — : (يا) حرف نداء ، والمنـادى محذوف ، والتقـدير : ياقوم ليتنى .

« ما حسابيه » — : (ما) اسم استفهام ذكرت لافادة التهويل والتعظيم ، وهى مبتدأ ، و « حسابى » خبرها ، والهاء للسكت .

و (المعـــنى)

إن الذى يعطى كتاب أعماله بشماله يقول لقومه لما يرى من قبح العمل وانجلاء الأمر عما يسوءه وذلك عند النظر فى كتاب أعماله (ياقوم ليتنى لم أعط كتابى ولم أعلم الآن حقيقة حسابى . بل بقيت جاهلا به كما كنت فى الدنيا حتى أرد النـار على ذلك الجهل . وهذا التمنى من ذلك الجاحد يدل على أن ألماً عظيما نفسياً يلحقه وعذاباً بليغاً روحياً يمسه عنـد اطلاعه على كتابه وما فيه من الموقف حتى إنه ليتمنى من شدة ذلك الألم وفداحة ذلك الـكرب أن يرمى فى النار بادىء بدء دون أن يعلم فى الموقف سوء المآل وخيبة الآمال وظلام الحال .

عبد الرحيم فرغلى البلبيشى
المدرس بكلية الشريعة الاسلامية

الرفق

رآى الشافعى رضى الله عنه إنساناً يعجل فى عمل فقال له رفقاً رفقاً فان العجلة توجب الحرمان والرفق وسيلة إلى الوجدان ثم قال سمعت عبد الرحمن بن أبى بكرة عن الزهرى عن عروة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي علي الرفق مالا يعطي علي العنف .

التجـــــــويد

بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الشيخ على محمد الضباع

شيخ المقارىء المصرية بوزارة الأوقاف

التجويد ـ هو حلية التلاوة وزينة القراءة. وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف . وإلى ذلك أشار النبى ﷺ بقوله « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعنى عبد الله ابن مسعود وكان رضى الله عنه قد أعطى حظاً عظيما فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله الله تعالى . وناهيك برجل أحب النبى ﷺ أن يسمع القرآن منه ولما قرأ أبكى رسول ﷺ كما ثبت فى الصحيحين . وروينا بسند صحيح عن أبى عثمان النهدى قال صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد والله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله قال الامام ابن الجزرى وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجرداً مصححاً كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته وتخشع القلوب عند قراءته حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ بالألباب . سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه .

ثم قال : ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الاتقان والتجويد ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن وأنت ترى تجويد حروف الكتابة كيف يبلغ الكاتب بالرياضة وتوقيف الأشياء ، ولله در

الحافظ أبي عمرو الداني رحمه الله حيث يقول . ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه فقد صدق وبصر . وأوجز في القول وقصر . فليس التجويد بتمضيغ اللسان ولا بتغيير الفم ولا بتعويج الفك ولا بترعيد الصوت . ولا بتمطيط الشد ولا بتقطيع المد ولا بتطنين الغنات ولا بحصرمة الراءات . قراءة تنفر منها الطباع . وتمجها القلوب والأسماع بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لوك ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء . انتهى

مبادىء فن التجويد

فالتجويد — تلاوة القرآن الكريم على حسب ما أنزل الله تعالى علي نبيه محمد ﷺ باخراج كل حرف من مخرجه وإعطائه صفة من الصفات مكملا من غير تكلف ولا تعسف ولا إفراط ولا تفريط ولا ارتكاب ما يخرجه عن القرآن لقوله ﷺ اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فانه سيجيء أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم

وموضوعه — كلمات القرآن من حيث لفظ ما ذكر . قبل والحديث .

وثمرته — صوت اللسان عن الخطأ في القرآن .

وفضله — شرفه على غيره من العلوم . لتعلقه بأشرف الكلام .

ونسبته لغيره من العلوم التباين .

وواضعه — أئمة القراءة

واستمداده من السنة .

ومسائله قضاياه التى يتوصل بها إلى معرفة أحكام جزئياتها . كقولنا لام أل — يجب إظهارها عند حروف (ابغ حجك وخف عقيمه) وادغامها فى غيرها .

وحكمه — الوجوب العينى على كل قارىء من مسلم ومسلمة لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا . أى أنت على تؤدة وطمأنينة وتدبر ورياضة للسان على القراءة بتفخيم ما يفخم وترقيق مايرقق ومد مايمد وقصر ما يقصر وإدغام ما يدغم وإظهار مايظهر وإخفاء ما يخفى إلى غير ذلك على ما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وقوله ﷺ . اقرءوا القرآن كما علمتوه . ولاجماع الأمة على وجوبه لنزول القرآن به كما يدل لذلك ما ورد عن مسعود بن يزيد الكندى من أن ابن مسعود كان يقرىء رجلا فقرأ الرجل — إنما الصدقات للفقراء مرسلة أى من غير مد فقال ابن مسعود . ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال . كيف اقرأكها يا أباعبدالرحمن .

قال اقرأنيها إنما الصدقات للفقراء فمد الفقراء والمد مقدر بحركات معلومة عند القراء لا يعرف إلا بالأخذ من أفواههم . ويدل له أيضاً ما أخرجه البخارى عن مسروق عن عائشة عن فاطمة رضى الله عنها أنها قالت أسر إلى النبى ﷺ إن جبريل عليه السلام كان يعارضنى (أى يدارسنى) بالقرآن فى كل سنة مرة فعارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى . وذكر كثير من أئمتنا أن النبى ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام من أوله إلى آخره بتجويد اللفظ وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ليكون سنة فى الأمة فتعرض التلامذة قراءاتهم على الشيوخ

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمرو قال (قال رسول الله ﷺ . يقال (أى عند دخول الجنة وتوجه العاملين إلى مراتبهم

حسب مكاسبهم) لصاحب القرآن (أى من يلازمه بالتلاوة والعمل لا من يقرؤه وهو يلعنـه) : اقرأ وارق (أى إلى درجات أو مراتب القرب) ورتل (قراءتك) كما كنت ترتل (أى فى الدنيا) وفيه إشارة إلى أن الجزاء على وفق الأعمال كمية وكيفية) فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها : ذكره على القاريء فى شرح المشكاة ،

والحاصل أن تحرير مخارج الحروف وصفاتها ورسوم الحروف والكلمات وترتيب السور والآيات والقراءات المتواترات توقيفى لأن جبريل عليه السلام أخبر وعلم النبي ﷺ كل هذه الأحكام فى العرضة الأخيرة لينبقى العرضة على الشيوخ فى الأمة إتباعاً له عليه الصلاة والسلام .

وليأخذوا القرآن بكمال الأخذ عن أفواه المشايخ المتصلة أسانيدهم إلى الحضرة النبوية وليصل اليهم الفيض الالهى والأسرار القرآنية والبركات الفرقانية فانها لا تحصل إلا بتعلمهم القرآن من أفواه المشايخ وليكون كمال الثواب بعرضهم القرآن على المشايخ فان الله تعالى لا يكتب الثواب لقارئ بغير التعلم. بل يعذبه فان الانسان يعجز عن آداء الحروف بمجرد معرفة مخارجها وصفاتها من المؤلفات مالم يسمعه من فم الشيخ. فكيف لا نتعلم القرآن مع كثرة جهلنا وعدم فصاحتنا و بلاغتنا من المشايخ الماهرين فى علم التجويد. فان رسول الله ﷺ مع كمال فصاحته ونهاية بلاغته تعلم القرآن عن جبريل عليه السلام فى جميع السنين خصوصاً فى السنة الأخيرة التى توفى فيها. ومع أفضليته على جبريل عليه السلام .

وأخرج البخارى عن أنس ابن مالك رضى الله عنـه قال. قال رسـول الله ﷺ لأبى إن الله يأمرنى أن أقرأ عليك القرآن أى أعلمك القراءة . قال أبى : آلله سمانى لك قال . الله سماك : فجعل أبى يبكى . ويقال : أن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ ليعلم أبياً أحكام التجويد من المخارج والصفـات وأحكام القراءات المتواترات كما أخذه نبى الله عن جبريل عليه السلام ثم بلغ جهده وسعى سعياً بالغاً

فى حفظ القرآن وما ينبغى له حتى يبلغ من الامامة فى هذا الشأن الغاية العظمى . قال عليه الصلاة والسلام : أقرؤكم أبى ثم أخذ على هذا النمط — الآخر عن الاول والخلف عن السلف. وقال ابن حجر : اعلم أن كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ومد وادغام وإخفاء وإظهار وغيرها — وجب تعلمه وحرم مخالفته . كذا ذكره على القارىء والحاصل أن لا بد من التلقى من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين ولا يعتد بالأخذ من المصاحف بدون معلم أصلا . ولا قائل بذلك: ومرتكبه لاحظ له فى الدين لتركه الواجب وارتكابه المحرم لأن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو معلوم ولأن صحة السند عن النبى ﷺ عن روح القدس عن الله عز وجل بالصفة المتواترة . أمر ضرورى للكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ليتحقق بذلك دوام ماوعد به تعالى فى قوله جل ذكره إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون .

وحينئذ فاخذ القرآن من المصحف بدون موقف لا يكفى بل لايجوز ولو كان المصحف مضبوطا .

وقال السيوطى . والأمة كما هم متعبدون بفهم معـــانى القرآن وأحكامه . متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية . اه

فقوله على الصفة المتلقاة الخ — صريح فى أنه لا يكفى الأخذ من المصاحف بدون تلق من أفواه المشايخ المتقنين .

فقـد بان لك أن مراعاة تالى كتاب الله تعالى التجويد المعتبر عنـد أهل القراءة .

على محمد الضباع

محنة انسان

بقلم فضيلة الاستاذ أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

يرحمه الله بين الأحياء ، فقد أصبح وهو الجدير بأن يسمى حى الأموات أو ميت الأحياء ، وبلغ نهاية لايدرى من مرارتها أهى غضبة الأقدار أم ابتلاء القهار أم محنة الليل والنهار وغدا يمشى بين الناس شبحاً يتراوح ذات اليمين وذات الشمال ، لامن ضعف أو هزال، ولامن تعب أو كلال،ولا من ضيق أو ملال، بل من استيئاس وضحولة آمال . وأصبح ينكر الناس لطول ما خبرهم ولقى منهم وابتلى بهم، وأصبح الناس ينكرونه لأنهم ألفوه ضحوك السن باسم الثغر طليق المحيا نشيط الحركة دائب العمل ، يصبحهم من قوله وعمله بجديد ، ويمسيهم من إنتاجه وابتكاره بجديد، فصار عبوساً متجهماً، ساكناً صامتاً . يمشى فى خطوات وئيدة كأن مشكلة من مشكلات الفكر ، أو معضلة من معضلات الحياة ، أو نازلة من نوازل الدنيا ، قد ألمت به ونالت منه فاستحوذت عليه، وجعلته نهبا مقسما للتفكير المضنى والتحير العميق !

يرحمه الله بين الأحياء ، فقد كان يؤمن بالمثل العليا والمبادى الكريمة، وتفتحت عينه أو ماتفتحت على صفحات الكتب تفيض بآراء العلماء ونظرات الأدباء وخواطر الفلاسفة ، ومذاهب المصلحين وشذرات الأخلاقيين،وطالع صاحبنا هذه الصفحات وهو لايزال غض الاهاب ناضر الشباب نقى الكتاب ، يوم كان يؤمن الايمان كله بان الخير جميل محبوب ، وأن الطريق إليه سهل ميسور ، ولذلك يجب أن يكون

سيد الجميع ورائد الجميع ؛ وأن الشر قبيح مكروه ، وأن الطريق إليه قذر بغيض، ولذلك يجب أن ينفى بعيداً من دنيا الناس ، وظل صاحبنا يحشد عقله بذلك الزاد الفكرى الدسم ، ويملأ قلبه بذلك الرحيق الروحى المصفى، وهو يجانب ركب الحياة ويحاذر الأحياء فى أغلب مواقفهم ومغانيهم ، ويكتفى بمسامرة أسفاره وأفكاره ، فاذا ما أرغمته الظروف حينا على أن يلقى الناس فى موطن أو مناسبة أحس بالفارق الكبير بين ما يرى وما يقرأ ، وبين ما يحس وما يفكر ، فنى الكتب والأسفار خير وفضيلة ومبادىء وعقائد، وفى الحياة شر ورذيلة وتحلل وفجور... ومازالت هذه المصادمة بين برجه العاجى الطهور وبين دنيا الناس اللاهية العبثة تتكرر وتثقل حتى استبان لصاحبنا أن من أراد أن يعيش فى دنيا الناس فليضع فى ذهنه أن هناك فرقاً بين الواجب والواقع ، وبين ماهو كائن ومايجب أن يكون ، فعز عليه ذلك وحز فى نفسه ، وخيل إليه أنه أنفق من وقته وفكره وعصبه ومجهوده ما كانت عاقبته الحسرة أو الخيبة والخسران ! ...

وكان صاحبنا عاملا مجداً نشيطاً ، يوكل إليه العمل من الأعمال فيبذل فيه طاقته ووسعه ؛ وينغمر فى محيط واجبه بحسه وذات نفسه ومشاعره ليجيد الأداء ويحسن التنفيذ ؛ وكان يؤمن بأن العمل الطيب لا بد له من جزاء طيب عند الناس عاجلا وعند الله آجلا ، لأن الوردة الناضرة التى تنفح بالشذا والعبير يجب أن يلقاها الناس بالشم والتقبيل، وأما الشوك والحسك والعوسج والزوان والعليق فلا يقابل بالقطع والسحق؛ وكان صاحبنا لا تستريح نفسه أن يقبل أجراً أو جزاء إلا إذا أدى عملا ، وأما إذا ناله شيء من ذلك بلا عمل فهو عنده سحت خبيث يورث أوخم العواقب فى الروح والبدن ؛ ولكن صاحبنا يعمل فلا يثاب ، ويخلص فلا يقدر إخلاصه من حوله ؛ ويفنى فى عمله فيسويه الناس بمن فنى فى لهوه ، بل أحياناً

يقدمون ذلك الفانى اللاهى على ذلك العامل الوافى ؛ وتطلع صاحبنا فرأى أناساً يعبثون ويصخبون ، ثم يتقدمون ويطفرون فى تقدمهم بشكل مؤلم قبيح ؛ ورأى أناسا يحترقون نضالا وكفاحا فتأبى الأيدى الفاجرة القاهرة إلا أن تسد عليهم الطريق ، وتعود بهم إلى مؤخرة الركب ؛ لا ينالون إلا الفتات ؛ ولا يعمرون إلا الخراب والموات ، فأصبح صاحبنا حائراً : أيظل يعمل ويحترق بينما يضيعه أهلوه ويهضمه عارفوه وجاهلوه ، أم يركن إلى الدعة والراحة والتدليس ، ثم يدوس على ذلك الشيء الذى يسمونه «الضمير» بقدمه الغليظة ونعله الثقيل ؟! ... وكانت هذه الحيرة الحائرة سببا عنده فى تراكم آلام وتحرك أسقام ..

ولقد كان صاحبنا يؤمن بالاستقلال فى الرأى والحرية فى المبدأ ؛ والتباعد عن مزالق الطائفية والحزبية والعصبية ويرى فى التعالى عن التبعية والمشايعة البغيضة لونا من الكرامة يليق به كانسان ملحوظ فى المجتمع له حرمته وسمعته ورسالته ، وطريقا إلى التطهير من الاتصاف بالهوى والتشيع بالحق أو بالباطل ، ولكن هذا الاستقلال كان سبب نكبة له . إنه ينقد باخلاص ، ويعلق على الأحداث بروح عامة ، ويفضل الحق ويقدمه على كل شيء ، ويرى أن وجه الله أعلى وأبقى ، وأن الرياء والنفاق والتملق لا يليق بأصيل مثله ، فلم يترك قول الحق له صديقا ، وأصبح الجميع ضده أعداء فلكل منهم أخطاء يعرفها صاحبنا ، ويعرض لها فى لين تارة وفى صرامة تارة أخرى وإن كان فى جميع الاحوال كريم الغرض نبيل المقصد ، وهذا لا يرضى الناس لأن الناس لا يكفيهم منك أن تسكت عن عيوبهم وتتغافل عن سيئاتهم وتتغاضى عن جرائمهم ، بل يطلبون منك أو يودون فوق هذا أن تقلب عيوبهم محاسن وأن تصير سيئاتهم حسنات ، وأن تجعل جرائمهم محامد تستوجب الثناء الطويل والشكران العريض ، فاذا لم تفعل معهم هذا فانت فى نظرهم دخيل عليهم أو عدو لهم ، أو على

الأقل شخص غير مرغوب فيه ولايستراح إليه أو يوثق به , ومن هنا تظل أبها الحر الأبى المستقل المتعالى عن تبعية الحزبية ، وعمى العصبية وضلال الطائفية غريبا فى كل وقت ، محاربا فى كل عهد ، تتحمل على الدوام ما تتحمل وتضحى ما تضحى بينما ترى الناس من حولك يشايعون أصحاب الطول والحول من هاماتهم ، فيكسبون منهم ويربحون ويقفزون على أكتافهم إلى ما يطمحون . ولو زال عن هذه الهامات سلطانهـا يوما ، فان أولئك الأذناب يختفون فى جحورهم كما تختفى العناكب أو الثعالب أو الخفافيش ، ويظلون يجترون ما حصلوا من مغانم حتى تعود هاماتهم إلى سلطانها وإيوانها ، فتبدو الثعالب مطالبة بالمكاسب والمغانم فى فحش وإسراف . وهكذا دواليك . والمسكين المستقل المحايد الأصيل لاينال حقه إلا بشق النفس ، ولا يسلم من الأذى إلا بأعجوبة من الأعاجيب ! ...

وصاحبنا هذا — يرحمه الله بين الاحياء — قد آتاه الله بسطة فى العلم والجسم ، ووهبه اللسان القوال والقلم السيال والسعة فى التفكير والخيال . وقد كان صاحبنا فيما مضى من أمره قبل أن يصاب بما أصيب به من نـكبة هدت كيانه وزلزلت أركانه ، يرى هذه الميزات الـكثيرة هبات ربانية جلية يجب أن يشكر ربه عليها بأداء الزكاة عنها ، وزكاتها فيما ارتأى هو أن يكون شـعلة متواصلة الاتقاد فى القول والـكتابة والارشاد . وهكذا انطلق غير متوان ولا متلبث ، يجابه الجماهير فى كل مكان وفى كل أوان بآرائه ونصائحه ودعواته وصيحاته ، وهو واثق لطيبة قلبه وصفاء نفسه أن الرعيل الضال سيهتدى بصوت الراعي الرشيد ، وأن الجمهور المثوف سيستجيب لصيحة الرشاد ودعوة الاصلاح ، ولـكن القول يتكرر ويتكرر . ويطول ويطول وليس هناك من ثمرة أو نتيجة أو فائدة ، فـكل فرد ينطلق على وجهه لا يلفته عن رغبته توجيه أو تنبيه ، ولا يرده عن غيه وعد أو وعيد . إذن فماجدوى الـكلام ، وما فائدة الترداد لمختلف الصيحات والتوجيهات ؟ ! . .

يرحمه الله بين الأحياء ... لقد ضاق بالناس وخيل إليه أن الناس أيضاً قد ضاقوا به ، فأراد أن يريح ويستريح فأدبر عن دنياه وعن أهليها وولى وجهه شطر صومعة نائية مجهولة وأغلق عليه بابها ، وانطوى على نفسه يجتر الذكريات ويردد الزفرات ، وكلما دعاه داع من الخارج يضطره إلى أن يلقى الناس هنا أو هناك ، خرج من معتكفه متثاقلا متباطئاً ، كأنه يسعى إلى أمر بغيض لديه ثقيل عليه، فإذا ما قضى أمره على أي وجه كان ، سارع إلى صومعته كأنه غريق تكتنفه الأمواج من كل جانب فهو يبذل آخر وسعه للخلاص منها ، فتمنحه الأقدار بخشبة النجاة فيتعلق بها ويحرص عليها حرص الجبان على حياته ، وما يكاد يرد عليه بابه حتى يتنفس من الأعماق تنفساً يسترد به أمنه وسكينته ، ويردد : «هأنذا فى صومعتى من جديد ، وهنا أجد نفسى لآخذ عنها وأعطيها ، وأتأثر بها وأؤثر فيها، وأصلح من أمورها ونواحيها ، وذلك حسبى وكفى » !...

وهو يهم الآن أن يتخذ ليده خاتماً يكتب عليه : « هذه بقية إنسان»ويديم التطلع إليه ليتذكر على الدوام ما كان عليه وما هو كائن الآن ...

إن الرجل يقيم هناك بعيداً مستغرقا فى تأملات صومعته فدعوه وشأنه ، وتصدقوا عليه إن شئتم بقولكم : يرحمه الله بين الأحياء ! .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

آداب المناظرة

قال الشافعى لأبى يعقوب البويطى حثا له على الإنصاف والانتصاف فى المناظرة

إذا ما كنت ذا علم وفضل ... بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر فى سكون ... حليم لاتلج ولا تكابر
يفيدك ما استفاد بلا امتنان ... من النكت اللطيفة والنوادر
وإياك اللجوج ومن يرانى ... بأنى قد غلبت ومن يفاخر
فإن الشر فى جنبات هذا ... يمنى بالتقاطع والتدابر

كلمة وزير الاوقاف

فى ذكرى محمد على باشا

ألقى معالى يس أحمد باشا وزير الأوقاف الخطاب التالى فى ذكرى محمد على باشا الكبير بين يدى جلالة الملك فى قصر رأس التين العامر استهله بقوله :

مولاى

جلست على عرش الكنانة عن أب قدير وقد شيد الملك بالعدل
وصنت تراث العاهلين وزدته بهمتك العلياء فضلا على فضل

ان جدك الذى أعنيه يا مولاى فى هذا الشعر ، هو جدك الأعلى الحاج محمد على الكبير الذى نحتفل بذكرى وفاته الليلة فقد اختاره الله الى جواره فى دار القرار وجنة الخلود فى مثل هذا التاريخ من عام ١٢٦٥ هجرية .

وبعد أن أفاض معاليه فى سرد تاريخ محمد على وإنشائه الامبراطورية المصرية وجه الحديث لجلالة الملك قائلا :

وها هو يا مولاى قد آل اليك هذا التراث العظيم الذى زدته فضلا على فضل ونوراً على نور ، مترسماً خطى والدك العظيم الذى أولى البلاد جميل رعايته وكريم عنايته بما حققه لها من الاصلاح والعمران ، وبما أسعدها به من نعمة الاستقلال ونعمة الدستور .

ومن فضائلك يا مولاى التى زدتها للبلاد أنك رفعت عن كاهلها عبء الامتيازات الأجنبية فأرجعت اليها كامل سلطتها فى التشريع والقضاء وأنك زدت منارات العلم حيث أنشأت الجامعة التى تشرفت باسمك الكريم بمدينة الاسكندرية

والجامعة التى أنشأتها بمصر باسم القائد المظفر جدك ابراهيم ، والثالثة التى أسميتها باسم جدك الأعلى صاحب هذه الذكرى وأقمتها بأسيوط عاصمة الصعيد الذى أمرك عليه والدك العظيم تشريفاً لقدره وإظهاراً لشدة عطفه عليه وعلى أبنائه . وانك زدت فى إنشاء بيوت الله لهداية الناس وتمكينهم من تحصيل منافعهم فى الدنيا والآخرة ، وانك لمشكور يا مولاى من أعماق القلوب على حسن قيامك على هذه الجنة التى آلت اليك مفاتيحها ، وعلى عظيم اهتمامك بتعميم غراسها وأنهارها فى جميع البقاع التى يضمها ملكك الكبير حتى تتسع لجميع الطبقات فلا يحرم أحد من مآكلها الشهية وملابسها البهيه وقطوفها الدانيه وظلالها الوارفه ومائها العذب النمير،وعسى أن تنقطع بهذا الفضل ألسنه السوء،فلا نعود نسمع فيها لغواً ولا كذابا.

فعش يا مولاى عمراً طويلا باذن ربك الذى تعودنا منه أن يستجيب لنا كلما دعوناه ليحفظك ويرضيك . وخذ بيدنا الى المجد الذى تشوقته لنا بقلبك الكبير مستعيناً بالله ومتوكلا على الله فهو نعم المعين ونعم الوكيل .

معهد فاروق

للتجويد والعلوم الشرعية

قرر مجلس إدارة الاتحاد أن يصرف بدل جراية قدره ٢٥ قرشا شهريا لكل طالب يواظب على الحضور فى معهد فاروق الأول للتجويد والعلوم الشرعية بجامع البنات بالقاهرة .

والاتحاد يرحب بالطلبات التى تقدم في هذا الشأن من الآن .

مواعيد الدروس

من الساعة ٩ إلى الساعة ١١ صباحا

أيام الأسبوع ماعدا الخميس والجمعة

فضيلة النائب المحترم الأستاذ الشيخ عبده بك البرتقالى

يطالب بتزويد الجنود بالتقوى

ويجعل الصلاة إجبارية على رجال الجيش وتعليمهم صلاة الخوف

انه لمن يمن الطالع وبشير التوفيق والاصلاح أن قيض الله تعالى خير من يدافع عن دينه ويذود عن حياضه ويرسل صوته عالياً خفاقاً ليعيد للدين كرامته وللاسلام عزته فقام وهو المعروف بغيرته الدينية وحماسته الوطنية يطالب الحكومة الشعبية بتزويد الجيش بالتقوى ويجعل الصلاة إجبارية عليه وتعليمهم صلاة الخوف كما كان الجيش فى السلف الصالح تحت قيادة القائد الأعلى محمد بن عبدالله .

وهذا ليس بالجديد على صاحب الاقتراح فهو صاحب المواقف المشهورة فى سبيل الله والحرية والمبدأ وكم ناضل وكافح وجاهد ونافح تحت قبة البرلمان وعلى صفحات الجرائد والمجلات والجمعيات بل وفى جميع المواطن كل ذلك ابتغاء وجه الله لايريد بذلك إلا إعلاء كلمة الدين ، ألا تعلم من هو ذاك الغيور؟

إنما هو فضيلة الأستاذ الكبير والنائب المحترم الوقور الشيخ عبده بك البرتقالى . . ونحن إزاء هذا لايسعنا إلا أن ندعو الله له بالتوفيق والسداد وأن يجد من الحكومة الرشيدة قلوباً واعية وآذاناً صاغية وتحقق لفضيلة النائب مايصبو اليه هو لاالملايين من المسلمين من مجد الاسلام واستقلاله وعزته .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

عبد المطلب صلاح
سكرتير التحرير

وفيما يلى نص اقتراح فضيلة النائب المحترم الأستاذ الكبير عبده بك البرتقالى :

حضرات النواب المحترمين :

الواقع أن التقرير الذى وضعته لجنة الشئون المالية ، ولخصه سعادة رئيسها ومقررها تقرير عظيم ألم بكل ما يجول فى نفوسنا . ولذلك لا أريد أن أعرج على شىء مما تناوله هذا التقرير ، لأنه كفانا كل شىء ، وفقط أتكلم عن مسألة جاشت فى صدرى هى مسألة الجيش ووزارة الحربية .

فالجيش يجب أن لانضن عليه بالمال الذى يكفيه مهما كلفنا ذلك وعلى الحكومة أن تنشىء مصانع للذخيرة ، حتى نتحاشى تحكم الدول الأجنبية فينا ؛ فلاتعطينا ما نحتاجه من ذخائر وأسلحة إلا بصعوبة ، وإذا كنا نريد العيش بين دول العالم فيجب علينا أن نسارع إلى إنشاء هذه المصانع ، وألا نضن عليها بمال مهما كان قدره ؛ نحن من سلالة العرب الذين اعتنوا بالجيش أكبر عناية ، وما كانوا يضنون بالمال فى سبيل النصرة ، ولذلك استطاعوا أن يصلوا ببلادهم إلى بر السلامة ، وفتحوا بلاداً كثيرة حتى وصلوا إلى بلاد النمسا والمجر ، وفتحوا اسبانيا والبرتغال بفضل اعتنائهم بالجيش ومؤازرة الأمة الاسلامية له ، وتحضرنى واقعة فى غزوة تبوك ، وقد حث النبى ﷺ الموسرين على تجهيز المحاربين ؛ فجاء عثمان ابن عفان رضى الله عنه وأرضاه ، وخرج عن عشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً ، فقال ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه » وجاء أبو بكر رضى الله عنه بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم ، فقال له ﷺ : هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ! ! وجاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله ، وجاد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة أوقية ، وجاد العباس وطلحة بمال كثير ، وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وثقاً من تمر ، وأرسلت النساء كل ما يقدرن عليه من حليهن .

حضرات النواب المحترمين :

إذا كانت الميزانية لا تكفى فنحن مستعدون للتبرع بكل ما نملك فى سبيل نصرتنا على أعدائنا .

وأريد أن أوجه النظر إلى هؤلاء الجنود الذين يقاسون فى الحروب فيجب أن يغدق عليهم شئ من المال لا أن يعطى الجندى أربعة وتسعون قرشاً ! فهذا المبلغ التافه لا يمكن أن يرفع من نفسية هذا الجندى فيضحى بنفسه فى ميادين القتال ، ويجب أن يأخذ مثل هذا الجندى ما لا يقل عن ستة جنيهات أو ثمانية ، فالجندى الأجنبى يأخذ أكثر من ذلك وأن الأموال التى ترصد للجيش تذهب فى الأغلب الأعم إلى الكبار من رجاله فلا يصيب الجنود شيئاً منها ، هؤلاء الذين يلقون بأنفسهم فى ميادين القتال وساحات الوغى ، فلا أقل من أن ينعموا بالعيش المناسب .

هذه الملاحظة يا حضرات النواب المحترمين جديرة بالنظر .

إنى أعرف ما يتقاضاه جنود الجيوش التى كانت بمصر أيام الحرب كالانجليز وغيرهم ، إذ كان مرتب أقل جندى فيهم يبلغ ١٥ جنيها فى الشهر .

وهناك مسألة أخرى لها أهمية كبرى فى الجيش ، وأحب ألا تقولوا أن فلانا يعظنا أو يرشدنا ؛ وهذه المسألة هى أن رجال الجيش يجب أن يتعلموا الدين بالقدر الكافى ؛ ولا أعنى أن يكون هناك وعاظ ومرشدون فحسب ؛ بل أريد أن تكون الصلاة فى الجيش إجبارية ؛ وأن تفرض على أفراده رقابة فى تأدية الصلوات الخمس كما كنا نراقب فى مدرسة القضاء الشرعى فى أداء فريضتى الظهر والعصر .

يا إخوانى : الواقع أننا لا يمكن أن ننال مآربنا إلا إذا تمسكنا بالدين وكان جنودنا يعرفون الله والدين حق المعرفة ؛ عند ذلك يدخل الجندى المعمعة وهو متشبع باحدى الحسنيين إما النصر والغنيمة وإما الجنة . وإذا كانت هذه هى

عقيدة المجاهد ، فلابد أن ينتصر النصر المؤزر . ولم ينتصر المسلمون فى الصدر الأول من الاسلام ، هذا النصر المبين الذى تعرفونه جميعاً إلا بفضل هذه العقيدة . ولقد سمعنا من القرآن الكريم فى هذا الأمر ما ملأ صدورنا ، فيجب أن توجد فى الجيش أماكن لتأدية الصلاة ، وأن يمرن الجنود على صلاة الخوف التى قال الله تعالى فيها : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » هذا ما كان عليه جنود المسلمين فى حروبهم السابقة ، فعلينا أن نقتدى ونتأسى بهم فننتصر بمشيئة الله ، لأنهم ما انتصروا إلا بهذا .

ويطالب باغلاق النوادى المفسدة

ثم استمر حضرة النائب المحترم فى خطابه مطالباً الحكومة باغلاق النوادى المفسدة فقال :

هناك مسألة أخرى ، هى مسألة النوادى التى كثيراً ماتنفق فيها أموال طائلة وتهدر فيها كرامات ما كان أولاها أن تصان . أفلايجب على الحكومة أن تضيق الخناق على هذه النوادى حتى نوفر على أنفسنا هذا العناء الذى نلاقيه من ضياع الأموال وإفساد الأخلاق !! إن حكومة الشعب الحفيظة على الأخلاق هى الحكومة الجديرة بمحاربة هذا الفساد ، ولها أن تضيق على هذه النوادى الخناق أو تغلقها نهائياً .

حضرات النواب المحترمين : إن أمة دينها الرسمى الاسلام لا ترضى أن تعمل بغير تعاليم الاسلام ، والاسلام بل كل الأديان السماوية بريئة من هذا ، وكلها تحض على الفضيلة واجتناب الرذيلة. هذا هو واجبنا إن كنا نعمل جادين لخير بلادنا وسعادتها

حديث القرآن عن يوم بدر

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز
مدير الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم (يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

هذه الآيات الكريمة هى صدر سورة الأنفال المدنية وتسمى سورة بدر والأنفال الغنائم وكان قد وقع شىء من الخلاف على قسمتها يوم بدر. فقررت الآية الأولى أن أمر الغنائم موكول إلى الله ورسوله يقضى الله فيها بحكمه وينفذ الرسول قضاء ربه وقد بين هذا الحكم فى موضع آخر من السورة نفسها قال تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فهذا حكم الخمس وأما الأخماس الأربعة فهى قسمة بين المجاهدين وقد بينت السنة كيفية هذا التوزيع .

ولما كان هذا الخلاف على قسمة الغنائم مما لا ينبغى لهم ولا يتناسب وسمو الغاية التى يستهدفها المجاهدون فى سبيل الله ويقفون أنفسهم على تحقيقها وهى إحقاق الحق وإرهاق الباطل لتكون كلمة الله هى العليا وتقرير الحرية الدينية بين الناس حتى لا تكون فتنة فى الأرض ويكون الدين كله لله . نقول لما كان الخلاف على الغنائم وقسمتها مما لا تتناسب وسمو هذا المثل الأعلى وكان الخلاف على إطلاقه فى الغنائم أو فى الغنائم أو فى غيرها مما يخشى منه على وحدتهم وقوة الرابطة الاسلامية فى نفوسهم فقد اقتهم القرآن إلى ذلك وأهاب بهم أن يتركوا الخلاف وسائر الأسباب التى تؤدى إلى الفرقة وإفساد ذات البين وأن يكلوا الفصل فيما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله مذعنين للحكم راضين بالقضاء (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) .

ثم بين هذا الايمان بما فصل من دلائله فى الاعتقاد وآثاره فى الأعمال فهو فى قلوب المؤمنين خشية من الله إذا ذكر ، واستحضار لجلاله وعظمته فى كل حين ، وهو فى عقولهم حكمة ونور تزيده آيات الله بصراً بالحق ، وسعة فى المعرفة ، ورسوخا فى اليقين . وهو فى نفوسهم اطمئنان بالدين ، وتسليم لأمر الله ورضاً بقضائه . وهو فيما بينهم وبين الله ، صلاة وعبادة ومناجاة ، وفى مجتمعهم أخوة ، وتعاطف ، وإيثار ومواساة ، فهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) .

ثم أخذ القرآن الكريم — على سنته — يقيم البرهن على ما طالبهم به ، من الرضا بحكم الله ، وحسن التوكل عليه ، بما يقرر هذه الحقيقة فى نفوسهم . وهو أنه لما كان الانسان بالغاً ما بلغ علمه الله جل شأنه بواسع علمه ، وعظيم إحاطته وهو لهذا قد يخفى عليه من الغايات البعيدة ، والمثل العليا ، مايريد الله جل شأنه

أن يبلغه إياه ، ويحمله عليه ، وجب أن يسلم الأمر لله تسليما ، وأن لا يشك فى الأمر بعد أن جاءه اليقين من الله ، ولا ينبغى أن يصده عن امتثال الأمر والرضا به ، ماعسى أن يكون فيه مما تكرهه النفس أو يثقل عليها حمله. فرب أمر عظيم الخطب شديد الوقع ، ثقيل على النفس ، يكون له من العاقبة المرضية ، والغاية الحسنى ، ما لم تكن النفس تؤمله وترجوه ، بل ما لم تكن تدركه ولا تحيط به .

كان جمهور من المؤمنين يرفض الصلح فى الحديبية على الوجه الذى تم عليه وعدوا قبوله مهانة ومذلة لما فى ظاهره من تحكم وعسف لايليق بعزة المؤمنين ، وكانوا لهذا يريدون أن يأخذوا طريقهم إلى مكة بقوة السيف ، حتى إن عمر بن الخطاب قال يارسول الله ، ألست برسول الله ! قال بلى . قال أولسنا بالمسلمين قال بلى . قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا ، قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى .

ومع أن المسلمين لم يدركوا حقيقة الخير فيما ثقل على نفوسهم من هذا الصلح فقد كان نصراً مؤزراً وفتحاً مبينا للاسلام والمسلمين، فاذا كان بعض الناس يجهلون الحكمة فى بعض ما يقضى الله به من قضاء ، وما يلزمهم من أحكام ، فليعلموا أن قانون الحق والباطل لايجرى دائماً على ما يحبون وما يكرهون . فقد تحب النفوس الشىء وهو وبال عليها ، وهو لها صلاح وخير صلاح وخير (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) وهل لو استسلموا فقعدوا عن الجهاد يوم بدر كما كانوا يريدون ، ورجعوا إلى المدينة خائفين ، أكانوا قد حصلوا على المجد الذى حصلوا عليه يوم بدر ، واستحوذوا على ذلك العز والنصر الذى ساقه إليهم الجهاد ، والتضحية فى سبيل الله ، أما أنهم لو فعلوا لكان فشلهم خاتمتهم ، ونهاية أمرهم ، ولكن الله الذى يتولى الصالحين ، ويؤيد عباده المؤمنين ، قد أراد

لهم غير ما كانوا يريدونه لأنفسهم ، فحملهم بتوفيقه وتأييده ومعونته على الخطة التى نالوا بها أعلى المثل وأشرف الغايات .

يذكر القرآن الكريم بهذه الآيات موقفهم يوم بدر ، وكان ذلك فى رمضان فى السابع عشر منه من السنة الثانية للهجرة . ومجمل القصة . أن النبى صلى الله عليه وسلم . أراد أن يجزى قريشاً ببعض ما عاملوا به المسلمين فى مكه ، حيث أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وشردوهم فى البلاد ظلماً وعدواناً (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق) فأمر عليه السلام أصحابه أن يخرجوا لعير قريش . القادمة بتجارتهم من الشام لعل الله يعوضهم بها بعض ما سلبته منهم قريش فى مكه من دور وأموال وما أزعجوهم عنه من وطن كان أحب الأوطان إليهم، وأقربها بجوار بيت الله وحرمه الأمين — إلى نفوسهم وقلوبهم حتى ليقول النبىّ عليه السلام يوم هجرته مشيراً إلى مكة « والله إنك لأحب بلاد الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » ...

ومع ذلك مال وأى متاع كان يمكن أن يستعيض به النبى عليه السلام والمهاجرون عن قرارهم فى وطن يحبونه مثل هذا الحب ويناجونه مثل هذه المناجاة . ولكنه الانتصار بعد الظلم وتأديب المعتدين ، ببعض مافعلوا ؛ وملاقاة البغى والطغيان بما يكسر شوكته . وينكس رايته . إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل . وتأييداً لكلمة الله . وإعزازاً لدينه . وفى ذلك يقول الله جل شأنه (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . (ألذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . ألذين إن

مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور .

وكان المسلمون يوم بدر قليلى العدد قليلى العدة لم يخرجوا لحرب ولا لقتال ، وإنما خف منهم من خف للقاء العير ومصادرة أموال الأعداء ؛ ولم يكن مع هذه الأموال جيش محارب بل كان عليها أبو سفيان بن حرب فى نفر من تجار قريش وأتباعهم ، فلما علم بأمر المسلمين وما اعتزموا من مصادرة التجارة أرسل إلى مكة يستنهضها لانقاذ أموالها فلم يبق فيها رجل يستطيع القتال إلا خرج أو استأجر مكانه من يخرج ؛ فتجمع بذلك جيش لقريش بلغ عدده أضعاف عدد المسلمين يقوده أبو جهل بن هشام ويسير تحت رايته الملأ من عظماء قريش وصناديدها .
وتصرف أبو سفيان لأمره فحاد بالعير عن طريق المدينة إلى ساحل البحر ، ثم أخذ طريقه على جدة فالى مكة ، ثم أرسل إلى أبى جهل يشير عليه بالرجوع حيث لم تبق حاجة إلى القتال بعد نجاه الأموال ، فقال أبو جهل والله لانرجع حتى نرد ماء بدر فننحر الجزور ، ونشرب الخمور ، وتعزف على رؤوسنا القيان ، ويسمع العرب بسيرنا هذا فلا يزال الناس يهابوننا بعدها أبداً .

وبذلك تمحضت غاية قريش من القتال إلى أن صارت كما سماها الله بطرا ورئاء الناس ، وكان هذا مما صنعه الله للمسلمين وإن كانوا لايشعرون حتى تقابل فى الميدان الباطل المزهو بنفسه المختال بكثرته وقوته مع الحق تفيض به قلوب المؤمنين إخلاصاً له وثباتاً عليه ، فيقع الفريقان تحت حكم الله العدل وسنته القاهرة فى الحق والباطل والاخلاص والرياء : لكن المسلمين لم يكونوا قد جاءهم تأويل ذلك بعد ، وإنما كانوا ينظرون إلى الموقف بحسب ما ظهر لهم من أسبابه فهم قليل وأعداؤهم كثير ، وهم قد خرجوا بغير استعداد ليقابلوا العير لا النفير . فلا غرابة أن يتخوفوا

ما دهمهم من أمر لم يكونوا على استعداد له ، وأن يذكروا ذلك للنبي عليه السلام ويجادلوه فيه (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) ولكن النبي ﷺ كان واثقاً من أمره عارفاً بربه مؤمنا بتأييده ونصره ، ومع ذلك فقد وقف ـ على سنته الشريفة فى الانصاف والحرية والشورى ـ يستشير أصحابه وانتهى الموقف بقول قائلهم إمض يا رسول الله لما أراك الله والله لو استعرضت بنا هذا البحر تخوضه لخضناه وراءك ما تخلف منا أحد . فسر رسول الله ﷺ بقولهم . ثم قال « سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

والطائفتان : طائفة النفير أى الجيش . وهى الطائفة ذات الشوكة برجالها وقوتها وطائفة العير ، أى قافلة التجارة والأموال وهى التى لاشوكة لها ولا محذور من لقائها بل فيها ما يحب من الأموال والمتاع . وفى هذا يقول الله جل شأنه (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

وقد تكررت كلمه الحق فى هذا السياق . ولها فى كل موضع معنى . فهو فى قول الله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) : الصواب والحكمة بطاعة الله ورضوانه . وفى قوله تعالى (يجادلونك فى الحق) القتال . خلص له القصد بعد نجاة العير وأصبح حقيقة الموقف دون سواه ، وفى قوله (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) : وعد الله الذى وعده رسوله . وهو تمكينه من إحدى الطائفتين . وفى قوله (ليحق الحق ويبطل الباطل) : الاسلام يبين الله لرسوله الحكمة فى تمكينه من الطائفة ذات الشوكة بعد أن وعده إحدى الطائفتين مبهمة .

وهذه الحكمة هى أن إحقاق الحق وإعزازه لا تكون بالاستيلاء على الأموال والغنائم . لكن بتمكين الله رسوله والمؤمنين من رؤوس الكفر وأئمة الباطل وقطع دابر المجرمين .

طائفتان :

أما إحداهما فلا تذكر فى القرآن الكريم إلا مقرونة بالحق . وحسبها حقاً فى خروجها ومسيرها وغايتها أن وليها الله وأن قائدها رسول الله .

وأما الأخرى : فقد خرجت من دارها بطراً ورئاء الناس وقفت حياتها على تأييد الباطل ومناوأة الحق ومطاردة الرسول والمؤمنين . وقد التقى الجمعان على ماء بدر بالقرب من المدينة : الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الطاغوت . وهذا أول مشهد شهده الخصمان حرباً فى سبيل العقيدة وقتالا بين الحق والباطل . فلا جرم أن كان له من الرجاء والخوف فى نفوس المسلمين ما يناسب عواقبه الجليلة العظيمة. إذ عليه يتوقف سير الدعوة الاسلامية وتقرير مكانتها . ولا عجب أن حمل ذلك رسول الله ﷺ — حينما رأى كثرة أعدائه وقلة أصحابه فى العدد والعدد — على أن يبتهل إلى ربه ويستغيثه ويستنجزه وعده قائلا « اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلن تعبد فى الأرض » .

صبر المسلمون فى القتال وثبتوا لأعدائهم ثبات الجبال وآمنوا إيماناً تنزلت عليهم الملائكة من السماء وكانت ساعة استجاب الله فيهــا لرسوله ﷺ ومنح المسلمين ظهور أعدائهم فاتبعوهم فريقاً يقتلون ، ويأسرون فريقاً ، وفر من نجا منهم إلى مكة مهزوماً طريداً . وكانت النتيجة أكبر من نصر متعارف وأهم من فوز فريق على فريق ، كانت آية بينة عنت لها وجوه العرب فأخذوا يتأملون الأمر أكثر من ذى قبل ، وينظرون إلى الدعوة نظرهم إلى حقيقة عجيبة تملأ السمع

والبصر والفؤاد ، فلا عجب أن سمى الله يوم بدر فرقاناً بما فرق به بين الحق والباطل وإن كان ليوم بدر ولأبطاله المؤمنين من المكانه فى الاسلام وفى تاريخ المسلمين ما لم ينله مشهد سواه . وفى ذلك الموقف من الرسول قبيل الموقعة يقول الله جل شأنه « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة ، مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم » .

حضرات السادة : إنه لمن يمن الطالع وسعادة المناسبة أن نتذاكر موقعة بدر فى ميعادها من هذا الشهر الكريم فقد كانت فى السابع عشر من رمضان ، وأن نتذاكرها وجيوش العرب والمسلمين فى فلسطين مازالت فى موقف الجهاد فى سبيل الحق الذى جاهد فى سبيله المسلمون يوم بدر ، وأن نرى الباطل اليوم — كما كان يوم بدر بل أشد وأطغى — متألباً بجمعه وحوله وطوله على الحق الذى يستمد معونته ونصرته من الله العزيز الحكيم . فان تكن لنا من الاسلام هداية فهدايتنا اليوم منه أن نؤمن كما آمن أهل بدر وأن نثق بأنفسنا كما وثقوا بأنفسهم ، وأن نوقن يقيناً لا يخالجه أدنى شك بأن الله الذى أقام السموات والأرض بالحق ، وأرسل رسله بالهدى ودين الحق ، وأنزل الكتب من السماء قياماً بالحق ودعوة إليه ، لا يؤيد جل شأنه الباطل مهما طغى وبغى وكثر أتباعه ، على الحق وإن قل أعوانه وأنصاره وإذا رأيتم الباطل مزهواً مختالا يريد أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا فاصبروا له ساعة من الزمان ، وارتقبوا ما يؤول إليه أمره فانه فى اضمحلال وإلى زوال ؛ ولا مناص له — طال الزمن أم قصر — من أن تدمغه سنة الله التى لا تحول ولا تزول بصاعقة من الحق تزلزل أركانه وتهدم بنيانه ، ويومئذ يعلم المبطلون الذين حموا هذا الباطل وأقاموه مراغمة لأبسط

مبادىء العدالة أن مقاليد السموات والأرض بيد الله لا بأيديهم ، « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عبين ، لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

ألا و إن مثل القضية بين الحق والباطل فى التاريخ كثيرة لا تعد ، أشبهها بقضية اليوم موقف مصر ، وعليها صلاح الدين ومعها العرب والمسلمون فى وجه الصليبين ، ثم فى وجههم ووجه التتار جميعاً . وقفت مصر إذ ذاك للدنيا كلها ، كما تقف اليوم للدنيا كذلك وعليها الفاروق العظيم ؛ ومعها إخوانها العرب والمسلمون . وكما نصرها الحق بالأمس سينصرها اليوم إن شاء الله ؛ ومن يعش يره ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

أما بعد فانى أبتهل إلى الله جل شأنه فى هذه الليلة العظيمه والذكرى المباركة التى نتذاكر بها آيات الله وهدي الله فى شهر الله رمضان ، أن يؤيد الفاروق المعظم ويمد فى عمره ويبسط فى ملكه ، وأن يمينه سبحانه و يكلأه برعايته وتوفيقه فيما وقف نفسه عليه من العمل الدائب والجهاد المتواصل فى سبيل النهوض بالأمة وتقدمها فى سائر مناحى الحياة ، وأسأله سبحانه أن يجزيه خير الجزاء على ما أتاحه للمسلمين فى مصر وفى خارج مصر من هذه المجالس الطيبة المباركة ، حيث يجتمعون ليستمعوا إلى كتاب الله يتلى عليهم ويتدارسونه بينهم ، كما أسأله جل شأنه أن يؤيد ويرعى بالتوفيق والسداد سائر ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم ، وأن يعينهم فى جهادهم الحق ضد الباطل والمبطلين ، ويسددهم فى السلم والحرب . ويكتب النصر والظفر للمجاهدين ؛ وأن يعيد على أيديهم دولة العروبة ومجد الاسلام . والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد عبد اللطيف دراز

الامانة

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبد العزيز متولى
بكلية الشريعة الاسلامية

الأمانة هى رأس الفضائل ، ومنبع الخصال الحميدة وعنوان الجمال والكمال . وإن فى طيها كثيراً من الصفات المطلوبة . وهى تنتظم سلسلة من الأخلاق الحسنة فاذا حظى الانسان بها وعمل على تنمية تلك الملكة فقد حاز الشرف ، وفاز بالرقى والرفعة . والعاقل دائماً يريد الترقى ويدأب للعمل لنيله والظفر به ، والجاهل يريده ولكنه يعجز عن العمل ويتثقل كاهله به . وذلك يرجع إلى تكوين الشخص والبيئة التى تربى فيها والمنبت الذي أنبته . وإن البيئة هى المربى والمعلم ، والمؤدب والمهذب. والفرع يتبع الأصل ويعمل على محاكاته إن لم يكن فى كل الصفات ففى معظمها ، وإن لم يكن فى جميع العادات والتقاليد ففى جلها وأكثرها . فترى الولد يحاكى أباه وأسرته فى كل شىء فى الخير والشر ، فى النفع والضر ، فان كان المعدن والأصل ينبض قلبه بحب الخير . وينقبض ويبتعد عن الشر . وتنساق عاطفته وينتعش شعوره إلى مواطن الفضيلة . ويمتنع وينكمش عن مهاوى الرزيلة فان الفرع ينسج خيوطه على هذا المنوال ، ويتغذى جسمه وروحه بهذه العادات والأفعال . وإن شذ وندر القليل من الأفراد عن ذلك . وإنه لا يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الحنظل . فمن كان على الخير مرباه ، والفضيلة مغزاه ومأواه فقد سلك أقوم طريق فنال خير الجزاء وحسنت عقباه ومن وجد نفسه بعيداً عن الخير قريباً من الشر فعليه بالاصلاح ومحاربة الهوى والنفس وعصيانهما فى كل أمر ، وليعقد

لنفسه الأسباب التى يريد أن تنقاد إليها فان فى استطاعته بعد ذلك أن يكتسب الفضيلة بالقصد وإن لم تبلغ ما كانت بالاتفاق. فان الجاري بالطبع ألزم مما هو حادث بالقصد وإن ما يجب العمل لادراكه إن لم يكن بالطبع والسعي لاكتسابه وإصابته هو الأمانة . والأمانة فى كل شىء فى العبادات والمعاملات .

ولقد كانت الأمانة أول صفة اتصف بها الرسول ﷺ قبل النبوة . فانه لما نشأ فى قومه بعيداً عن مهاوى الرذيلة مؤثراً لنفسه الفضيلة ؛ لما نشأ مطيعاً لربه متبتلا إليه ، محسناً إلى قومه المعاملة قاضياً بينهم بالعدل ، فاصلا فى منازعاتهم وخصوماتهم بما ترتاح إليه الضمائر وتطمئن إليه القلوب وتنشرح له الصدور لما عرف بهذه الأخلاق فى قومه لقبوه بالصادق الأمين . وكان ذلك كمقدمة لتصديقه فى دعواه الرسالة ، عاملا من عوامل الاصلاح الشامل والتهذيب الكامل وإذن فالمصلاة يلزم أن يتصف بالأمانة فاعلها فيحسن ركوعها وسجودها ، ويتدبر آياتها وقرآنها وليخطر قلبه أنه واقف بين يدى الله الذى يعلم السر وأخفى ليتخذ مكانه من الخشية والاجلال لله فيكسو صلاته ثوب الوقار والقبول . ولذلك فان الرسول استنكر على من عبث بلحيته وهو يصلى وقال « لو خشع قلب هذا لما عبث بيده فى الصلاة » ومن عرف لذة المناجاة قطع على الشيطان سبيل الغواية والافساد .

وفى الصيام يجب على الشخص أن يعتقد أنه يصوم أداء للواجب الدينى ، وتقرباً إلى الله وتهذيباً للنفس وتأديباً لاعادة وتقليداً فلا يترك لنفسه أن تعبث بالصوم فتتعدى حدوده وتتجاوز أوامره وتعاليمه وتميل إلى السباب والمغالبة ، والخصام والمحاربة وليحتفظ بهذا السر الذى بينه وبين ربه وليتدبر المقصود من هذه الفريضة وأنها غاية نبيلة من صقل للنفس حتى تتصف بالرحمة والشفقة وتترك العنف والقسوة وتتعود الرضا والقناعة وتبتعد عن السخط والجشع كل ذلك نتيجة لما أدرك من ألم الجوع والحرمان وأحس بذل الحاجة والافتقار .

وفى الزكاة يعمل على إيصال الحقوق لأربابها والتخلص من هذه الأدران بتنقية المال منها والمسارعة إلى حفظه ولا يكون ذلك إلا إذا أخرج إلى الفقير حاجته ومد يده ليعطيه نصيبه المفروض فاذا فعل فقد زاد الله ماله ربحاً ، وأدام عليه نعمة الغنى وعزة النفس وأفلح فى دنياه وأخراه « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون » وإلا فقد أكل أموال الناس بالباطل وهو منهى عنه ، وظلم غيره بغير ذنب أو إثم وهو محذر منه ؛ وغصب الغير حقه وذلك من الكبائر فهو فى الواقع يعادى نفسه ويقف منها موقف المصارعة وقد قال الرسول ﷺ « الظلم ظلمات يوم القيامة » وقال تعالى « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » فقد أخذهم الله بظلمهم ، وحرمهم الله مما أحل لهم بسبب إغفالهم للحق وتزيينهم الباطل وانتصارهم له .

وإن لجارك حقاً عليك وواجباً يلزمك أداؤه أن تحسن إليه المعاملة ، وتشعره بقوة الرابطة وزيادة الألفة والمودة ، وتبذل إليه يد المعونة والمساعدة فى الشدائد وتشاركه فى أفراحه وسروره ، وتحافظ على كرامته وعرضه وإلا فقد خالفت الشريعة ؛ ونقضت كلام الله وحكمه .

وإن الصدق فى الحديث جمال أى جمال . وسلامة من المعايب والآفات . وكمال فى الأخلاق ينشده ذوو الألباب . وما أحسن الوفاء بالوعد والمحافظة على أن تكون الروابط التى بينه وبين الناس محكمة قوية بانجاز عهوده ، وصدقه فى وعوده . ورعايته لحرمات الصداقة والإخاء وعلقة المودة والصفاء . وإن المؤمن إذا احتفظ بكرامته فصان ما تحت يده من الأمانات وأمسك عن العبث بالحقوق والواجبات . وأقام من نفسه حراساً عليها حتى ترتفع منزلته عند الأداء ويعلو

شأنه ويسمو قدره . إنه إذا كان كذلك فسوف يلقى شكوراً . ويحظى من الناس أنساً وحبوراً . ولذلك فان الرسول ﷺ يبين لنا آية المنافق والعلامة التى يخالف بها سليم الطباع وحسن الأخلاق لنحذر من صفاته ، ونبتعد عن كل ما يشين الاسلام وأهله ، ولنتخلق بأخلاق المؤمنين فيقول « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان »

ومن أقوى الصلات والروابط الجديرة بهذه الصفة النبيلة رابطة الزوجية إذا أحكمت بدعم أسسها ، وأصلحت بتنمية مبادئها فأنبتت نباتها الحسن ، وأثمرت ثمرتها الطيبة التى يقصدها الشرع ويهدف إليها فتلتزم الزوجة حقوق الزوج فى حرز الصيانة والفضيلة وتقدس هذه العلقة حتى تكون أمل الزوج وراحته ، وأنسه وسلواه . فتسكن نفسه ويهدأ خاطره . ويصيب هذا القانون السماوى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» ولا يكون ذلك إلا إذا ناشد الطرفان السلم فى هذه الحياة وراعى كل حقوق الآخر فائتمرت الزوجة بأوامر الزوج واحترمت رأيه وهيأت له أسباب الدعة والراحة . وتعاونت معه على البر والتقوى . وحفظته إذا غاب عنها فدفنت أسراره وكتمت ما يريد كتمانه . وإن الحقوق التى على الزوجة جديرة بالاهتمام لأن بها توثق الصلة وتحكم المودة . ولذلك فان الرسول ينبه بخطر هذه الحقوق فيقول « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها » وهو من جانبه يحسن عشرتها ويرعى لها حرمتها كزوجة ويتقى الله فيها كما قال ﷺ « اتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » وإن الانسان إذا كان معززاً مكرماً فى بيته ، هادئاً سالماً فى مخدعه . استطاع أن يؤدى عمله فى فتوة ونشاط وواجبه الدينى فى رغبة واشتياق.

سيدى القارىء : ألا ترى أن كل ما ذكرت وغيره مما لا يتسع له المجال ما هى إلا تكاليف شرعية وأمانات فى أيدينا أمرنا بالمحافظة عليها ، وكان حقاً علينا أداؤها ورعايتها . وإن فى إهمالها خطراً جسيما . وإحياء لجرثومة فتاكة بالمجتمع فان الفرد إذا اتصف بالخيانة والغدر واستهتر بالحقوق والواجبات . وعبث بالأوامر وإضاع الأمانات وسار وراء الأهواء والشهوات فقد سقطت لبنة من المجتمع فلا يلبث أن تنهار بنيانه . وتتقوض عمده وأركانه . فاستهدف لخطر الأعداء . وأنذر بالفناء والزوال والخراب والدمار . وماحافظت أمة على الأمانة واحتضنتها فى مهدها إلا انتصرت وفازت وارتفعت بين الأمم وأخذت مكانها من الرقى والتقدم . إذ أن أفرادها إذا اتصفوا بها وراعوها فى كل أمورهم وشئونهم فانما تأتلف أرواحهم وتتناجى . وتتقارب نفوسهم وتتلاقى . ومتى تلاقت النفوس وتناجت الأرواح كانت القوة والمنعة والعزة والسلطان .

وقد أمرنا الله بالتحلى بهذه الصفة الكريمة إذ أمرنا بأداء الأمانة فقال عز من قائل « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً » .

والأمانة من الدين ومكملة لايمان الشخص وإنها دليل العقيدة الصحيحة الثابتة فلا دين لمن لا أمانة له . قال الله فى محكم تنزيله « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فنرى الله جل شأنه يخاطب المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا ثم يأمرهم بما يريد منهم فهو يذكرهم بالوعد الذى أخذوه على أنفسهم والميثاق الذى عقدوه بينهم و بين خالقهم وهو إيمانهم بربوبيته ، واعتقادهم بوحدانيته . فكأنهم قالوا إننا التزمنا أن نطيع الله فى كل شىء ولا نعصى له أمراً . فبين لهم أن من الأوامر الوفاء بالعقود والعهود حتى يكون ذلك داعياً إلى الامتثال وحافزاً على العمل والأداء .

وإذن فيجب أن يرسخ الايمان فى القلوب وتخشع لله الأفئدة والنفوس . يجب أن نتعظ نحن المؤمنين مما يقاسيه العالم اليوم من شر الحرب ، وما يعانيه من ألم العدوان الذى يعقبه الخراب والدمار .

وقد ظهرت اليوم شرارة صغيرة لا تلبث أن تكون ناراً موقدة ، ونرجو ألا تكون . وذلك نتيجة للخيانة وضياع الأمانة ، فقد فشا المنكر وذاع الفساد وماتت الفضيلة ومثلت الرذيلة على مسرحها بين قرع الكؤوس وشجى الأنغام . وقد حذرنا الرسول ﷺ فقال « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يسلط عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » وهذه عاقبة الخائنين للدين والوطن الظالمين لأنفسهم وللناس « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد »

نضرع إلى الله أن يهدينا الصراط المستقيم ويصلح فساد المجتمع ويهيء لنا من أمرنا رشداً ولنختم بقوله جل ذكره « يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

بيـــان من المالك للمملوك

فى أدب السير والسلوك

بقلم الاستاذ الوقور عبد العزيز شراد

المدرس بالمدارس الأميرية

قال الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » سبحانه عز من قائل حكيم بين فى هذا التنزيل الكريم والهدى العظيم صفتين جليلتين من أجل الصفات التى يتحلى بهما عباد الرحمن الذين يحق لهم أن ينتسبوا إلى ألوهيته وأن يستظلوا بظل ربوبيته ويستمتعوا بجمال رعايته . فالعبد الصالح الذى يسير بين الناس فى كمال وتأدب ووقار واتزان ، يعرف ما لنفسه فلا يتعداه وما لغيره فلا يتخطاه وينظم صلته بربه ويؤدى حق مولاه من زكاة وصيام وحج وصلاة ، ويعرف حق الطريق وحق الرفيق وحق الجار وحق الشريك ، ولا هو بالمختال فى مشيه ، ولا بالمتبختر فى سيره عالماً بأن مولاه قد ذم المختالين المتفاخرين المتبخترين فقال على لسان نبيه لقمان فى وصيته لولده « إن الله لا يحب كل مختال فخور » واثقاً بأن ربه لا يحب ولا يرضى عمن يتباهى على غيره ويتكبر على من سواه زاعماً أنه أكثر منه جاهاً وأوفر منه عزاً وسلطاناً وأجل منه شأناً وأحسن مكاناً ، ولقد بين أحكم الحاكين أن من أرذل صفات العبد أن يحقر غيره ويتعالى على من هو دونه فقال جل شأنه « ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » ولا

يرفع صوته فى حديثه ، إذ هو يعلم أن رفع الصوت من علامات الغطرسة والكبر وقلة الذوق لذلك جاء فى التنزيل على لسان لقمان فى وصيته لابنه « واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » وهو فى الطريق لا ينظر إلا بمقدار مايلزم النظر إليه حافظاً عينيه من التطلع إلى محارم الله مستلزماً نصح ربه وهدى مولاه الذى قال لنبيه ليعلم المؤمنين من خلقه « وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » وهو على الدوام وجل من عقاب الله فلايملأ عينيه بالنظر إلى الأجنبية خوفاً من الوعيد والعذاب الشديد . ولقد قال النبى ﷺ « من نظر إلى أجنبية كويت عيناه بمسامير من نار يوم القيامة » ويدرك يقيناً أن النظر إلى المحارم مفتاح باب الاثم إذا استباح لنفسه دوام التطلع إلى الأجنبية وأنه للاثم والضلال والشر والوبال والهوان والنكال لمن يشبع عينيه من هذه الشهوة الدنيئة والوصمة السافلة ومن تطهر كان خيراً له وأفضل وأحسن وأكمل وأعز وأنضر قال تعالى موضحاً حال المؤمنين « ذلك أزكى لهم وأطهر » .

ومن عباد الرحمن ذلكم المسلم الوقور الدؤوب الصبور الذى ينظم أوقات سيره ويرتب مواعيد مشيه حتى لا يوجب على نفسه الاسراع البغيض الذى يخرج به عن الحد اللائق والمقدار المباح لمن أراد أن يتحلى بثوب الفضيلة ويتسربل برداء الكمال والجلال وحتى لا يتهم بالتسرع والعجلة اللتان هما من خلال اليهود ، كما لايتباطأ ولا يتثاقل فى ذهابه وإيابه حتى لايتهم بالكبر والغطرسة . وقد قال النبى ﷺ « لا تبطئوا إبطاء النصارى ولا تسرعوا إسراع اليهود » وقال « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » .

وما أكثر ما رأينا أناساً لا يبالون بالزمن ولا ينظمون أوقاتهم ، فمنهم من يكون إهماله وتفريطه سبب خطير فى تفويت منافع كثيرة وتضييع فوائد جليلة

إذا ما تكاسل عن المبادرة والتبكير للتوجه إلى صفقة تجارية يكون سواه أسبق إلى شرائها واغتنام حيازته لها، وما أشد أخطار وأضرار الذين يتسرعون في غير اكتراث وفي غير مبالاة فيندفعون إلى ركوب القطارات أو السيارات أثناء مسيرها وقبل أن يستقر الوقوف بها أو بعد مغادرتها محطاتها فتزل أقدامهم ويسقطون صرعى وتكون حياتهم ثمن طيشهم وخراب بيوتهم ثمرة نزقهم ولو أن الواحد منهم رتب وقته وراعى تنظيم زمنه لوفر على نفسه وعلى أسرته وعلى المجتمع أضراراً وأخطاراً تنوء بها حياتنا الآن فما أكثر ما يرى الرأى وهو مار فى الطرقات أناسى عديدة مقطعة أيديهم أو مبتورة سيقانهم فى حالة تدعو إلى التأثر البالغ والتحسر الشديد وما كان أحوجنا إلى هؤلاء يعملون فى عداد الأسرة الصناعية أو التجارية أو الزراعية فيزداد الانتاج ويكثر الربح ويكونون سبباً فى إسعاد بيوتهم وتوفير راحة أسرهم وعاملا هاماً من عوامل رقى المجتمع .

ولكن بدل أن يكونوا هكذا نراهم وقد حملوا أمتهم الهموم والمتاعب والمشقات والمصاعب وأدخلوا على أسرهم الآلام والأوهام والأسقام بما تعانيه من المشاكل الخطيرة والمتاعب المريرة وجلبوا على الدولة مشاغل عديدة لأن الكثير منهم قد يكون فقيراً معدماً تعيش أسرته عيش الكفاف بأجره الزهيد وربحه القليل، ويترتب على إصابته انقطاع مورد رزقها ونضوب معين قوتها فتضطر الدولة إلى مجابهة أمثال هذه المشاكل بتدبير بيوت لايوائهم وأموال للانفاق عليهم وعلى ذويهم وأحياناً تضيق بهم الملاجىء فيهيمون فى الطرقات ويندسون فى الأزقة والحارات سائلين متوسلين مستجدين .

ومن الخارجين المارقين عن الدين المتهاونين بأحكام رب العالمين أولئك الذين يغلظون القول فى أنفة وكبرياء ، وفى زهو وادعاء وعتو وعدم استحياء

ويتظاهرون بالعظمة وينتحلون لأنفسهم علو المنزلة ورفيع المكانة أولئك الذين يتأففون من أحاديث العامة ومن كلام الباعة وكأنهم من عالم آخر غير عالمنا ومجتمع غير مجتمعنا وشعب غير شعبنا ترى الواحد منهم فى حديث بسيط بين بائع فقير جاهل أو محترف عامى لا يحسن صوغ الكلام بأسلوب رفيع يتفق ومزاج ذلك العقل الجبار يقيم مشكلة كبرى ومعركة عظمى وترى مهانين ومصابين ومتقاضين ومساجين وأموالا مبددة ومشاكل متعددة وضياع مهنة أو خروجا من حرفة ، ولو أن أمثال ذلكم علموا أن معظم النار من مستصغر الشرر وأنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ولا يستوى الخبيث والطيب ، لأدركوا أن التواضع خير من الكبر واللين خير من الشدة وأن المؤمنين رحماء فيما بينهم يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، وأن النبى عليه الصلاة والسلام قد قال « رحم الله رجلا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » وأن المولى جل وعلا أشار فى محكم كتابه إلى سيد خلقه وخير أحبابه بأن الغلظة توجب النفور وتكون سبباً فى القطيعة وإيغار الصدور فقال تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » وأن معاملة اللين واللطف خير من معاملة الشدة والقسوة والعنف وأن المرء يدرك باللين ما لا يدرك بسواه وينال بواسطته مالم ينله بغيره . وإذا ما قدر لرجل مصادفة أن يجابه رجلا ممن لا خلاق لهم فليتذكر قول أحكم الحاكمين « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ليكون من الذين إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وممن حق لهم أن ينعموا بدخولهم فى زمرة عباد الله الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً لتستقر الأوضاع وتستقيم الأمور وينعم المجتمع ويعيش الناس فى صفاء وولاء ومحبة وهناء .

مشروعية الحرب فى الاسلام

بقلم فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ يوسف مصطفى محمد الأمير

عضو البعثة السورية

كل فكرة دينية كانت أو سياسية ترمى إلى الاصلاح وقلب أوضاع المجتمع لابد أن تجد فى طريقها خصوماً ألداء يحشدون كل قواهم عقلية كانت أو مادية لدحضها. والسبب فى هذا يرجع إلى تفاوت فى جوهر النفوس وحب الذات والأهواء والأغراض المتفرعة عن ذلك.

ولايحتدم وطيس العراك والتطاحن على الناحية التى هى العلة فى التنازع بل يمتد الصراع إلى كل ما يتصل بالشؤون الاجتماعية. والغريب أن هذا المخلوق لم يسلم زمام أمره ولم ينقد طائعاً إلى ما فيه خيره وصلاحه فهو لجوج حقود حسود حتى إن مشيئة الله وحكمته لم تسلم من اعتراض خلقه؛ فهذا إبليس يوجه عتبه ولومه على بارىء النسم ومكون الخلق من العدم ويجادل فى الأمر حينما قال - تعالى - الملائكة « إنى جاعل فى الأرض خليفة » وكلفهم بالسجود له. فوقف معترضاً يفاضل بين الصلصال والفخار وبين الحمأ المنون. تلك المفاضلة المنبعثة عن الحسد المهلك، والتى آل أمرها إلى طرده من رحمة الله.

وإنا نستنتج من قصة آدم عليه السلام مع إبليس أن كل حرب تشن على دعوة الاصلاح وحملتها لاطفاء نور الحق والفضيلة أصلها الحسد وأن أعاصير وزلازل هذا المرض الفتاك لا تؤثر على جبال الايمان الراسخة والعقائد الثابتة ولابد من انهيار أركان الأباطيل على رءوس من تفاعل فى نفوسهم مرض الحسد. ثم يظهر الحق بعد

جهاد مرير ناصع الجبين مرفوع الرأس تشع من جوانبه أنوار النصر وشموس الخير التى تحي معالم الحق والعدالة .

وإذا بحثنا قصص الرسل صلوات الله عليهم نجد أن فرعون الذى قال لقومه : « أنا ربكم الأعلى » فطأطؤوا لذلك رؤوسهم وخضعوا لجبروته وسيطرته يزلزل عرش طغيانه وصرح ملكه على يد طفل التقط من البحر . وأن المسيحية ـ رغم أنف اليهود والوثنيين من قياصرة وغيرهم ـ تنتشر فى العالم بصوت رضيع قال لأعداء الحق والعدالة ، وهو فى المهد « إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبراً بوالدتى ولم أكن جباراً شقياً والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » .

وأن دولة قريش وخيلاء جبابرتها تتضعضع عظمتها وتتدأدأ قواها خائرة أمام رسالة يتيم مات أبوه قبل ولادته ولم يخلف له من متاع الدنيا ما يكفه عن الحاجة والعمل فى حقل الحياة للقوت الضرورى . وفى ذلك حكمة إلهية بالغة ومعجزة واضحة . وإذا كان دعاة الاصلاح من الطبقة التى لا صولة ولا قوة لها ، وأعداء الاصلاح بأيديهم جميع القوى الحسية . وهم طغام ظلمة لا يتعففون عن منكر لدعم مراكزهم والبقاء على هيا كلهم الجوفاء . ألا يحق لشريعة العدالة أن تبيح لدعاتها أن يلموا شعث المستعبدين فى الأرض وينفخوا فى الفئات البشرية المضطهدة والمغلوبة على أمرها روح المثالية والتضحية وليشكلوا من تلك الطبقات جيشاً يقف أمام العسف والجبروت حتى يتسنى لحملة الرسالات السماوية نشر تعاليمهم فى شتى ميادين الحياة وبذلك يقوم المعوج ويصلح الفاسد وتسير سفينة الحياة بركابها إلى شاطىء السلامة والنجاة . وهذا لعمرو الحق ما نشاهده من حكمة التشريع فى إعلان الحرب على أعداء الحرية ، حرية الرأى والعقيدة .

فرسول الله ﷺ لم يلجأ إلى القوة إلا دفاعاً عن تلك الحريات المسلوبة والحقوق حقوق الأفراد والجماعة التى طغت عليها يد الظلم والتعسف . فكم مد يد السلامة إلى أولئك الذين سطت عليهم الجاهلة الجهلاء وأعماهم عن نور الحق الكبرياء والخيلاء فنبذوها وقابلوا السلم بالحرب والخير بالشر ووقفوا حجر عثرة فى سبيل الدعوة الالهية والعقائد السماوية .

فقريش التى تتزعم القيادة العربية فى الجاهلية علمت أمانة محمد ﷺ وصدقه قبل النبوة ولقبته بالأمين ، عرفته بالصدق والاخلاص والتواضع ، وأحبته منذ نعومة أظفاره ، أحبه الشباب فيها لأنه عنوان الشباب جداً وإقداماً ، وأحبه الشيوخ لأنه عنوان العقل والتفكير ، وأحبه الأثرياء لأنه عنوان التاجر الأمين ، وأخلص إليه الفقراء لأنه مثل الرحمة والحنان .

ذلك الانسان الكامل الذى أجمعوا على احترامه فى جاهليتهم ورضوا بحكمه فى أهم خلاف نشأ بينهم حينما أرادوا وضع الحجر الأسود وكاد الأمر يطيح بهم إلى حرب شعواء لا يعلم إلا الله مصيرها ، هو بذاته ذلك النبى الذى ملئت قلوبهم غيظاً منه وكذبوه وسخروا به وعملوا على إهانته تارة وقتله أخرى حينما وقف لأول مرة ينذر قومه ويعظم ربه ويحاول تهديم بنيان تلك العقائد الفاسدة ، واقتلاع جذور الشر والعداوة من بين تلك الطبقات المتأخرة ، وبناء مجتمع جديد تتساوى فيه أفراد الانسانية أمام الحق والعدالة ، ويكون الفضل فيه للتقوى والعمل الصالح .

وليس بالأمر المستغرب مناهضة قريش لرسول الله ﷺ الذى يعمل جاهداً ليحل عرى تلك العقائد التى توارثها الخلف عن السلف ويبدلها بعقائد وأخلاق بأخلاق ونظم بنظم فذلك عمل لابد له من معارضة وخصوصاً فى بيئة طغى عليها

تقديس المعبودات والتفاخر بما ورث عن الآباء والأجداد صالحاً كان أو فاسداً خيراً أو شراً حتى قال قائلهم :

وما أنا إلا من غذية إن غوت غويت وإن ترشد غذية أرشد

وهذه العصبية الهوجاء تتجلى بوضوح فى محاضرة عمر بن هشام المخزومى إذ وقف ذات ليلة فى قومه (متأثراً من تنديد محمد بعقائدهم وعوائدهم الفاسدة التى أعلن عليها محمد ﷺ حرباً منظمة دثارها الحجة وشعارها البرهان ولحمتها فطرة الله التى فطر الناس عليها) يحاضرهم فيقول : « يا معشر قريش إن محمداً قد أبى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم إنى أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فأسلمونى عند ذلك أو امنعوني فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف وانتظر رسول الله ﷺ حتى غدا إلى صلاته ؛ فلما سجد عليه السلام احتمل أبوجهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه من الفزع ورمى الحجر من يده فقام اليه رجال قريش وقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه غرض لى فحل من الابل والله ما رأيت مثله هم بى ليأكلنى . فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل ولو دنا لأخذه » .

وهذا عقبة بن أبى معيط يجىء برفث فيلقيه على الرسول ﷺ وهوساجد ولم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذت القذر فرمته عنه فلما قام ودعا على من صنع هذا الصنيع القبيح فقال « اللهم عليك الملأ من قريش » وقام وسمى أقواما قال ابن مسعود : « فرأيتهم قتلوا يوم بدر » .

وإذا أردنا أن نستعرض الحوادث العديدة التى لقيها الرسول صلى الله عليه وعلى

آله وسلم، يطول ذلك ويحتاج إلى سفر خاص. فقريش لم تترك باباً من الشر إلا ولجته ولا طريقاً من العدوان والبغى إلا سلكته لدحض نور الحق ووضع السدود أمام أشعة الاسلام كيلا تخترق حجب الكفر والشرك والظلم والطغيان وليس أدل على ذلك مما لقيه بلال وكان مملوكا لأمية بن خلف الجمحى القرشي فكان يجعل فى عنقه حبلا ويدفعه إلى الصبيان يلعبون به، وهو يقول: « أحد أحد » وكان أمية يحضر صخرة وقت الظهيرة فى الرمضاء الشديدة الحرارة ولو وضعت عليها قصعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيعود قائلا: أحد أحد.

ولقد لقى عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه من العذاب ما تقشعر لهوله الجلود وتهلع له القلوب فى سبيل العقيدة، وقد مر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة وهم يعذبون بالنار. فقال صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة: اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت. أما أبو عمار وأمه فماتا تحت العذاب رحمهما الله، وأما هو فثقل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له درعا من حديد فى اليوم الصائف ويلبسه إياها فقال المسلمون: كفر عمار فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام « عمار ملىء إيماناً من فرقه إلى قدمه » وأنزل الله فى شأنه واستثناء فى حكم المرتد « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ».

وإذا تتبعنا سيرة السابقين الأولين إلى الاسلام نجدهم جميعاً أصيبوا بأنواع من الظلم والعدوان. وأن قريشاً تفننت فى طرق التعذيب والاسلام وكان نتيجة تلك الاضطهادات المستمرة أن ولى المسلمون وجوههم شطر الحبشة ثم المدينة يفتشون عن أنصار وقاية من شر قريش وطغيانها تاركين وراء ظهورهم شيوخاً عجزاً ونساء

وأطفالا ووطناً ترعرعوا فى ربوعه ونشأوا بين نجاده ووهاده ، فكان من رحمة الله بعد أن تجمع المسلمون فى يثرب وأصبحوا على جانب من القوة يستطيعون معها دفع الشر وحماية البقية الباقية من إخوانهم الذين ضربت عليهم قريش نطاقاً حديديا ومنعتهم من الالتحاق بأخوانهم أن أذن لهم بالقتال قال تعالى ـ « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

تشير هذه الآية إلى حوادث الظلم والاعتداء وأنواع الجور والاضطهاد التى وقعت على تلك الفئة القليلة العدد القوية الايمان التى تعمل دائبة لاعلاء كلمة الله .

وإن من سنن الاصلاح والبقاء مقاومة أعداء الفضيلة لحماية العقائد الصحيحة والمحافظة على أماكن العبادة والقداسة حتى لايستشرى الفساد وينتشر الضلال وتعطل أحكام الشرائع السماوية ويختل نظام العدالة والانصاف. وقدوصفت الآية المؤمنين الذين أذن لهم بذلك بأوصاف المصلحين الذين يقيمون شعائر الله ويأمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر .

وقال تعالى : « وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساءوالولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » . وتبين هذه الآية ماوقع للبقية الباقية من المسلمين فى مكة من أذى ومعاملة قاسية بعد هجرة الأغلبية الساحقة إلى المدينة سجن وتعذيب وإيلام وصد عن عبادة الله . وهل يرجى غيرهذا من مردة قريش

وجبابرتها الذين كانوا يأدون فلذة أكبادهم ثم يعودون إلى منازلهم فرحين جزلين كأنهم لم يفعلوا شيئاً .

وقد نصت علي سببين للحث على القتال .

أولا — سبيل الله ومنع سيطرة الأقوياء على الضعفاء وأن يكون الدين لله وحده .

ثانياً — سبيل المستضعفين الذين كانوا مسلمين ومنعوا عن الهجرة إلى المدينة وهؤلاء لابد لهم من حماية وإلا فتنوا عن دينهم أو أبيدوا .

وقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » .

أوضحت هذه الآية أن علة القتال فتنة المسلمين عن عقائدهم السماوية ومنع الدعوة من الانتشار فأمر المسلمون بالقتال حتى لاتكون فتنة لتسير الدعوة وتمتد فى بقاع الأرض وتطهر القلوب من الرجس والكفر والشرك .

مما تقدم من الآيات البينات يتضح لنا أن الأمر فى القتال يرجع إلى سببين الدفاع عن حرية العقيدة وما يستلزم ذلك .

الآيات الواردة بخصوص الجهاد وكلها تعبر عن روح المسالمة والدعوة إليها إلا حينما تهدد الحقوق وتشل حركة الحرية وتندلع نار الفتنة ويمتنع معها الهدوء والسكينة

وبنظرة عابرة إلى صفحات التاريخ نشاهد أن الاسلام تخلل بيوتات قريش العظيمة منها والحقيرة ودخل عدد وافر فى دين الله وثبتوا على عقائدهم رغم تلك الزلازل والفتن التى أحاطت بهم وكانت الدعوة حينئذ بحاجة إلى من يدافع عنها ورسول الله ﷺ يتطلع بلهفة إلى عناصر القوة والغلبة ليلجأ إليها فيتقى شر جبابرة قريش دهاقينها . وكل هذا لم يمنع من نشر تلك التعاليم بسرعة خاطفة

إذا لاحظنا ذلك ونظرنا ثانية إلى حاضرنا وما نحن عليه من ضعف وجهل وفقر واستعباد وكيف أن الاسلام ينتشر بنفسه من دون دعوة أو إرشاد بين طبقات مثقفة فى أوربا تلك البلاد التى وصلت إلى أوج المدنية والحضارة وليس المرشد إلى تلك إلا البحث والتنقيب ومقارنة الاسلام مع المذاهب الحاضرة والغابرة.
من ذلك كله نستنتج أن الاسلام لولا الضغط والعسف وما لاقاه من معارضة واضطهاد لاكتسح الجزيرة العربية ببرهة وجيزة ولم ترق نقطـــة من دم ولم يسل سيف من غمده.

يوسف مصطفى محمد الامير
عضو البعثة السورية

مؤلفات الاتحاد :

١ — شرح التحفة .

٢ — الفرائد المرتبه على الفوائد المهذبة فى بيان خلف حفص عن طريق الطيبة .

٣ — منتهى الاختصار فى تعيين الآى المختلف فيها بين علماء العدد فى البلاد الاسلامية .

٤ — رسالة فى بيان ما ورد فيما خالف فيه حفص بقية أئمة القراءات العشر

٥ — الوجيز المفهوم شرح اللؤلؤ المنظوم فى المرسوم .

جزء عم بالتفسير .

الصبر نصف الايمان

بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل
الشيخ سليمان عبد الفتاح المدرس بكلية الشريعة الاسلامية

كل خصلة من خصال الانسان وكل صفه من صفات النفس لها طرفان إفراط وتفريط . فالافراط مذموم والتفريط مذموم وخير الأمور الوسط . فالصبر وسط بين رذيلتين بين الجزع والتهور والشعور وهو من سيما الصالحين وشعار الأنبياء والمرسلين ومنزلة من منازل السالكين إلى الحضرة العلية وهو حبس النفس عند البلوى ومنعها عن الشكوى والصمود لحوادث الدهر وصروف الزمان والملائكة المقربون لايوصفون بالصبر لأنهم جردوا عن الشهوة وجبلوا على الطاعة فدأبهم العبادات والتقرب لرب العزة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

أما البهائم والحيوانات فقد جردت عن العقل وركبت فيها الشهوة البهيمية فلا توصف بالصبر وعدمه . وقد ابتلى الله بنى آدم بالتكاليف وفضلهم على كثير ممن خلق وميزهم بالعقل وركب فيهم الشهوة ليتم الابتلاء ، فمن غلبت شهوته على عقله إلتحق بالبهائم ومن غلب عقله على شهوته التحق بالملائكة كل ذلك معياره العقل الذى يميز الانسان به بين الضار والنافع والغث والثمين قال تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) .

قد ذم الله الكفار بغلبة شهوتهم على عقولهم فالتحقوا بالبهائم بل كانوا أضل قال تعالى (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) ومن غلبت قوته الغضبية على

عقله كان كالسباع الضارية والوحوش العادية يفتك ببنى الانسان ويعتدى عليهم ويبطش بهم ويظلمهم ومن حكم عقله ووزن قواه الشهوية والغضبية بذلك الميزان كان ملكا كريماً وإنساناً رحيما وخير لباس يتسربل به الانسان ويتدرع به من عوادى الزمان وحوادث الأيام هو الصبر عند حلول المصائب والخطوب المدلهمة ومقابلة الشدائد بصدر رحب وعزم ثابت لا يفل والتسليم لقضاء الله وقدره تسليما لا يعتوره الشك ولا تحيط به الظنون لينال الصابر ما أعده الله للصابرين وما أدخره للمستسلمين .

هذا وقد نوه الله تعالى بفضل الصابرين وما أعده لهم من النعيم المقيم وقد ورد ذكر الصبر فى نيف وسبعين موضعاً من القرآن الكريم قال تعالى (يأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقد وعد الله الصابرين بالأجر الكبير والمثوبة الحسنى فقال (وبشر الصابرين) ووعدهم بالنصر والتأييد وأنه يكلؤهم ويرعاهم فقال (والله مع الصابرين) وجعل أجرهم من غير حصر ولا عد فقال (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

ولقد كان رسول الله ﷺ أصبر الناس فقد أوذى فى سبيل الدعوة الاسلامية إيذاء شديداً فصبر على أذى قومه وأهله وعشيرته وقد أمره الله تعالى أن يتأسى بالأنبياء من قبله حيث قال (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) فصمد للدعوة وصدع بالحق ولم يبال بما يلاقيه من الشدائد والمحن فى سبيل الله حتى أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وكمل الدين وهذا شأن الدعوة المصلحين ، فانهم فى مبدأ أمرهم تعترضهم العقبات فلا تصدهم عن سبيلهم ولا تكفهم عن دعوتهم فيقتحمون الشدائد بقلب ثابت وجأش رابط وقوة يقين حتى يتم ما أرادوا وقد وردت الأحاديث الشريفة تبين فضل الصابرين وجزاء المتسسلمين قال عليه الصلاة والسلام

(من يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) وقال عليه السلام (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له).

والصبر أنواع . فصبر على الطاعات وصبر عن المعاصى وصبر على نوائب الزمان وكوارث الحدثان فالصبر على الطاعات بأدائها حق الأداء وتحمل المشاق فى سبيلها فيتحمل الانسان البرد الشديد والحر اللافح فى الوضوء والصلاة والسعى إلى الجماعات والمشى فى ظلماء الليل وكثرة الخطا إلى المساجد وفى صوم رمضان يصبر على الجوع والعطش من غير جزع ولا شكوى ويتحمل المشاق فى قصد الحج إلى بيت الله الحرام ويخرج ربع عشر ماله مع سخاوة النفس وطيب الخاطر وعدم الضجر والسآمة وأن يبتغى بصدقته وجه الله الكريم . والصبر عن المعاصى بالكف عنها وقهر النفس عن الشهوات وزجرها عن المحرمات والتبصر فى عواقب الملذات ويغض النظر عما حرم الله ولا يقرب الزنا ولا يرتكب الخنا ولا يشرب خمراً ولا يكسب حراما قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) والصبر عند حلول المصائب أن يلاقيها الانسان بقوة يقين واستسلام لقضاء رب العالمين فلا ينبس بألفاظ الجاهلية ولا تشق المرأة ثوباً ولا تصبغ وجهها بالأسود ولا تمزق شعراً فان المصائب يمتحن الله بها عباده ويرفع بها درجاتهم إلى الدرجات العلى قال تعالى (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وروى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال (مر النبى ﷺ على امرأة تبكى عند قبر فقال (إتق الله واصبرى) فقالت له إليك عنى فانك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه فقيل لها إنه نبى الله فقالت لم أعرفك فقال عليه الصلاة والسلام

(إنما الصبر عند الصدمة الأولى) فمن فقـــد له ولد أو حبيب أو قريب فليصبر وليحتسب وليسترجع بأن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون فان الله يعوضه خيراً من مصيبته ويعطيه الجزاء الأوفى قال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى (ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) فالمصائب شتى والحوادث جمة وكل زمن يمر فالانسان فيه يساء أو يسر . فمن سره زمن ساءته أزمان فلا يخلو الانسان من مرض يصيبه أو مال يفقده أو حبيب يبتعد عنه أو أمل يتعداه أو غرض لا يناله فاذا صبر كان ذلك كفارة لذنوبه وإعلاء لدرجته قال عليه الصلاة والسلام (مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله به من خطاياه) وقال عليه السلام (إذا ابتليت عبدى بحبيبته وصبر عوضته منهما الجنة) الحبيبتان العينان هذه قطرات من فضل الصبر من بحره الخضم وذرة من جبله الأشم ولا يخفى على ذى بصيرة ما للصبر الجميل من أثر حسن وعاقبة جميلة وثمرة حلوة وإن كان مراً على النفس أما الجزع فعاقبته سيئة ومرتعه وخيم يدل على السخط والتذمر مما قدره الله وقضاه وهو لا يرد فائتاً ولا يحيى ميتاً والجزع يكون لربات الحجال لا لعظماء الرجال وجزاؤه العذاب الأليم وتنغيص الحياة وشغل البال والهم بالليل والنهار وخير علاج لمن جزع أن يستطلع ما أعده الله للصابرين ويتسلى بمصائب الأولين ويصبر لحكم رب العالمين وليعلم أن الدنيا دول وكل أمر إلى نهاية وكل مخلوق إلى غاية وكل شدة لها مخرج وكل هم له فرج وكل ضيق له سعة وإن مع العسر يسراً والصبر مفتاح الفرج وعاقبة النجاح والفلاح .

إنى رأيت وفى الأيام تجربة ... للصـــبر عاقبـــة محمودة الأثر
وقل من جـــد فى أمر يحاوله ... واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

الحج المبرور

بقلم فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المطلب يوسف صلاح
خطيب البطران بالجيزة

أجل إى وربى: كلمتان فيهما سعادة الدنيا والآخرة . هما المجد والفلاح والفوز والنجاح . بهما يتقرب المتقربون إلى الله ويقبل التائبون فى رحاب الاله . فى طيهما الرزق الواسع والثراء الشاشع . حبيبتان إلى القلوب يرفع فاعلهما علام الغيوب وبهما تغفر السيئات والذنوب فيهما الحب والتعارف والمودة والتآلف تعقد الأواصر وتقطع وشائج الخلاف والتشاجر والتطاحن والتناحر فيهما الاتحاد والوئام والاسعاد والسلام . إذا دققت النظر فيهما تجد فى أثوابهما معانى الاستقلال والرفعة والكمال إذا تساءلت ما هما فيجيبك منادى الفضيلة والساعى للوصول فى قول ظاهر منشور ألا هما الحج المبرور . قال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) .

وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : كنت عند منبر النبى ﷺ فقال رجل : لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام إلا أن أسقى الحاج وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته

فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) . إلى آخر الآية فهذا الحديث الذى فيه ذكر سبب نزول هذه الآية يبين أن المراد أفضل مايتقرب به إلى الله تعالى من أعمال النوافل والتطوع والجهاد وإن الآية تدل على أن أفضل ذلك الجهاد مع الايمان. قال عبدالله ابن عمرو بن العاص حجة قبل الغزو أفضل من عشر غزوات وغزوة بعد حجة أفضل من عشر حجات وقال الصبى بن معبد : كنت نصرانياً فأسلمت فسألت أصحاب محمد ﷺ : الجهاد أفضل أم الحج فقالوا الحج . والمراد والله أعلم أن الحج أفضل لمن لم يحج حجة الاسلام مثل هذا الذى أسلم .

وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . وثبت عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) فمغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مرتب على كون الحج مبروراً وإنما يكون مبروراً باجتماع أمرين فيه : أحدهما الاتيان فيه بأعمال البر والبر يطلق بمعنيين : أحدهما بمعنى الاحسان إلى الناس كما يقال البر والصلة وضده العقوق. وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ سئل عن البر فقال حسن الخلق . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول إن البر شىء هين وجه طليق وكلام لين وهذا يحتاج إليه فى الحج كثيراً أعنى معاملة الناس بالاحسان بالقول والفعل. قال بعضهم لماذا سمى السفر سفراً . لأنه يسفر عن أخلاق الرجال .

وفى المسند عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قالوا وما بر الحج يا رسول الله ؟ قال إطعام الطعام وإفشاء السلام وفى حديث آخر وطيب الكلام . وسئل سعيد بن جبير أى الحاج

أفضل ؟ قال من أطعم الطعام وكف لسانه ولقد صدق من قال :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتــــام ما جرح اللسان

إن الحج فى الواقع ونفس الأمر لمدرسة تربى النفوس وتهذب الأخلاق وتعود الانسان على احتمال المكاره وتعلمه البطوله والاقدام وتنزع من قلبــــه الخور والاحجام وتنمى فيه ملكة الصبر والجلد وتغرس فى نفسه التضحية والبذل والسخاء وتحبب إلى نفسه الاغتراب والارتحال . وصدق الشافعى رضى الله عنه حيث يقول :

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب من راحة فدع الأوطان واغترب

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فان لذيذ العيش فى النصب

إنى رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

هناك فى تلك الساحة الكبرى والميادين العظمى يجتمع الشامى بالهندى ويلتقى الصينى بالمصرى والسورى بالعراقى والتركى بالجاوى والسودانى بالمغربى والحبشى باللبنانى والباكستانى بالايرانى والأفغانستانى بالحجازى . أجناس مختلفة وألوان متباينة وألسن متعددة جاءوا من كل فج عميق وصوب بعيد وحدب غريب تحملوا المشاق وتكبدوا المصاعب مستعذبين تلك المتاعب راجين العفو والغفران والتقرب من الرحمن سائلين المولى الرحمة والاحسان متمنين عليه أن لا يقطعهم عن حج بيته والطواف حول كعبته وأن يتقبل دعاءهم بأن يجعل الرفعة والنصر حليفهم ويقوى وحدتهم ويرفع كلمتهم وأن لا يجعل للأجنبى عليهم سبيلا . هناك ترى الآلاف المؤلفة محرمين أشبه بالموقف العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم

المحشر الأكبر متجردين من الثياب منطلقة ألسنتهم بالتلبية والمناجاة لبيك اللهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك .

الله أكبر قف معى قليلا وحلق النظر فى هذا الموقف الذى يأخذ بالألباب حيث يشع منه نور الايمان وتبدو فيه آيات الخشوع والخضوع وأن الكل فقير ومحتاج والجميع ضعيف وهو وحده القوى الغنى يرجون رحمته ويخافون عذابه . ثم ليقرع سمعك هذا النداء الحماسى المملوء بالرجاء فلأول وهلة لسماعه تأخذك الرهبة وترتعش أعضاؤك ففيه إقرار بالربوبية وأن ما فى الكون قاطبة لله وحده وهو المنعم المتفضل وهو الجواد الواسع الكرم والكل فى قبضته والملك بيده والمخلوقون عجزة أذلاء فقراء ضعفاء ليس بيدهم نهى أو أمر أو قدرة أو قهر بل هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. عند ذلك يتجلى المولى الكريم على عباده فيتحفهم بنعمه ويتفضل عليهم بكرمه ويجزيهم الجزاء الأوفى ويعطى محرومهم ويؤمن خائفهم ويغفر لمذنبهم ويجبر كسرهم ويحمى لاجئهم، كيف لا وهم ضيوفه فى حرمه وزواره فى بيته وحق على المضيف أن يكرم ضيوفه . ولكن من هذا المكرم هو الذى حج من حلال وكانت نفقته من مصدر حلال وطريق مشروع أباحه ذو الجلال .

حج مرة جماعة من الكوفة وكان معهم رجل وفى طريق مكة جاءته منيته فمات فحفروا له حفرة ودفنوه فيها وواروا عليه التراب ثم تذكروا الفأس فحفروا فكم كانت دهشتهم حينما رأوا الفأس معلقة فى عنقه فواروا عليه التراب وذهبوا فلما قضوا حجهم ورجعوا إلى بلادهم سألوا أهل هذا الرجل ماذا كان يصنع فى حياته ورووا لهم قصته فقالوا صحب رجلا فأخذ ماله ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً فكان يحج منه ويغزو :

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل الله إلا كل طيبـــة ما كل من حج بيت الله مبرور

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ كان يطوف مرة إذ سمع رجلا بين الركن والمقام يقول : اللهم اغفر لفلان بن فلان فقال النبى صلوات الله وسلامه عليه من هذا الرجل فقال فلان أقسم على أن أدعو له بين الركن والمقام فقال الرسول صلوات ربى وسلامه عليه أبشر فقد غفر لصاحبك .

ألا قل لزوار دار الحبيب هنيئاً لـكم فى الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاش وأنتم ورود

ما أجلها ساعة وما أروعها تلك التى يقف فيها الحاج فى ساحة « عرفات » بين الحجاج الوافدين من كل صوب حين يتألف من هذا الجمع المتفرق المتحد أعظم مؤتمر إسلامى لن تبلغ إلى مثله أرقى الأمم وأكبر المؤسسات . تحب قلوبهم نبياً واحداً ويعتنقون ديناً واحداً ويناجون رباً واحداً . تلهج ألسنتهم بالدعاء وترتفع أصواتهم على اختلاف لغاتهم وتباين أفـكارهم بالتلبية والنداء قائلين كما كان يقول نبيهم « لبيك حقاً حقاً. تعبداً ورقاً. لبيك إله الحق » يقول الرسول ﷺ « إن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول : أنظروا إلى عبادى جاءونى شعثاً غبراً أشهدكم يا ملائـكتى بأنى قد غفرت لهم » .

فيا أيها الأخ الـكريم هل عزمت حقاً لزيارة ربك وأخلصت النية وجهزت الزاد لتصبح مع المـكرمين المرحومين وتحشر فى زمرة المقبولين .

إن أخوف ماأخاف عليك هوأن توسوس لك نفسك وتزينلك المتاع الزائل فتحجم وتتخلف عن ركب السعادة والفوز ثم تندم ولات ساعة مندم . إن الموت

قد يأتى بغتة وكل ابن آدم خطاء فتذهب إلى الآخرة وأنت ملوث بدماء المعاصى والموبقات وكاهلك مثقل بالذنوب والشهوات فيغضب عليـــك بارىء الأرض والسموات (وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت) واسمع لقول مالك الملك والملكوت (إن عبداً صححت له جسمه . ووسعت عليه فى المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لايفد إلى لمحروم) ويقول النبى ﷺ المعصوم « من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً) فلتشمر عن ساعد الجد واخلع ربقة الكسل وحب الدنيا من قلبك واتجه إلى الله بعقلك وفؤادك ولاتجعل الدنيا أكبر همك واقصد رب البيت فانه قد دعاك ولاتتأخر فتكون النيران مأواك .

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المـرء فائدتى ومالى وتقوى الله خير ما استفادا

إلى حضرات المحترمين

تعتذر إدارة تحرير المجلة عن نشر المقالات الواردة إليها من حضرات الكتاب الفضلاء لضيق المقام .

فلقد ورد مقال من فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد صالح المدرس بمعهد الزقازيق الدينى يعقب فيه على مقال فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المطلب صلاح الخاص بالسيدة نفيسه رضى الله عنها ويمتدح آل البيت الكرام ويستحث المسلمين بالتأسى بأخلاقهم والنسج على منوالهم حتى نرقى إلى درجاتهم والادارة تشكر لفضيلته جميل شعوره وغيرته الدينية وكذلك ورد مقال من الاستاذ عبد الحميد حجازى كاتب مقرأة السيدة زينب رضى الله عنها ، لمحة من تاريخ السيده زينب ، وكذلك ورد سؤال من موظف بتنظيم مصر وأجاب عنه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ سليمان عبد الفتاح ونعد الجميع إن شاء الله بالنشر فى العدد المقبل والله ولى التوفيق .

سكرتارية التحرير

الحديث الشريف

نزول القرآن

بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل

الشيخ محمد جاد كشك واعظ مركز أبي قرقاص

أخرج النسائي والحاكم والبيهقي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال (أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)

الشرح والبيان

المتبادر إلى الذهن عند ذكر نزول القرآن في كثير من آياته مثل (إنا أنزلناه في ليلة القدر) (وإنا أنزلناه في ليلة مباركة) (وكتاب أنزل إليك من ربك) إلى آخر الآيات . أن الانزال معناه الحركة من أعلى إلى أسفل ولما كانت كلمة إنزال تقتضي منزلا ومنزلا ومنزلا إليه وتلك من خصائص المادة وتعالى الله عن المكانية والزمانية علواً كبيراً . واللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي ديوان المجازات الرفيعة والكنايات والبديعة التي فاقت بها أعظم اللغات الحية قديماً وحديثاً لذلك وجب أن يحمل اللفظ الدال على النزول في القرآن على غير معناه الظاهر إلى مجاز يناسب الموضوع الذي نحن في طريق الوصول اليه . فالنزول مصدر نزل ومعناه

الأوى من جهة إلى أخرى ومنه قوله تعالى (رب أنزلنى منزلا مباركا) وكذلك يطلق على التحرك من علو إلى سفل ومنه أنزل من السماء ماء وحيث أن الحكمة فى نزول القرآن هو إرشاد العالم إلى سعادتهم فى الدنيا والآخرة وهذا لا يتأتى إلا إذا علموه وعرفوه لذا وجب أن يحمل الانزال على معنى الاعلام الذى هو من مستلزمات النزول على طريقة المجاز المرسل ، وقد أجمعت الأمة على أن تنزلات القرآن ثلاثة :

الأول إلى اللوح المحفوظ قال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وحكمة هذا النزول أن الله تعالى — والله أعلم — أوجد هذا اللوح سجلا مليئاً باحوال الموجودات جميعاً فيما قضى المولى عز وجل وقدر من أنظمة الكائنات كلياتها وجزئياتها فهو ناطق بحاله على عظمة الله الغالبة وقهره وإرادته وحكمته ولذلك أوجب الشرع على كل مؤمن الايمان به وذلك ليعلم الملأ الأعلى مشيئة الله متمثلة وأسلوبه ظاهراً فى إرشاد بنى آدم الذين كتب لهم الخلافة فى الأرض . وليقايسوا بين النوعين قديماً من حيث العبودية الصادقة مع ما ركب فيهم من دوافع البشرية الملحة .

الثانى من اللوح إلى سماء الدنيا فى بيت العزة ـ وقد ورد أنه بحذاء الكعبة قال تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) وقال تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) وقال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) فدلت هذه الآيات على نزول القرآن فى شهر رمضان فى ليلة القدر المباركة كما ورد فى السنة أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ :

الثالث وهذا النزول هو الحكمة الأخيرة من هذه التنزلات و به نزل ماء الهداية

على ربا عقول بنى آدم فاهتزت بالايمان وربت بالاسلام وأنبتت المعرفة الصحيحة بالله وأدالت الأوثان والأصنام وعرف الناس الواحد الأحد معرفة خلصت من إرشاد الشرك وكدورات الضلال ، فسبحان من أنزل كتابه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . دليل هذا التنزل الذى استغرق ثلاثاً وعشرين سنة قوله تعالى مخاطباً نبيه (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين) .

هذه هى تنزلات القرآن الكريم ولكل منها حكمة منفردة وسنتكلم بقدر ما يفتح الله به فى عدد آخر إن شاء الله تعالى عن كل تنزل ، جعلنا الله من أهل القرآن وفى ظل القرآن فى الدنيا بالعمل بتعاليمه وفى الآخرة بشفاعته عند الله آمين.

محمد جاد كشك
واعظ مركز أبى قرقاص

الحجاج والأعرابى

كانت عادة الحجاج أن لا يطعم فريداً ففى ذات يوم أراد الغذاء فنظر فلم يجد أحداً فطلب من الحجاب أن يحضروا له أى رجل يقابلهم مهما كان قدره وصفته فخرجوا يطلبون فوجدوا أعرابياً عليه شملة حافى القدمين عارى الرأس فقالوا له هيا إلى الحجاج فلما وصلوا بادره الحجاج بقوله وهو على المائدة هلم فقال له إلى أى شىء؟ فقال له إلى الطعام فقال له : لقد دعانى من هو أكرم منك فأجبته قال له من الذى دعاك قال له الله دعانى إلى الصيام فأنا صائم فى هذا اليوم فقال له تصوم فى اليوم الشديد الحرارة قال له صمت ليوم هو أشد منه حراً وهو يوم القيامة قال له أفطر اليوم وصم غداً فقال له وهل يضمن لى الأمير أن أعيش إلى غد قال له والله إنه لطعام طيب قال له والله ما طيبه طباخك ولا خبازك ولكن طيبته العافية فقال أخرجوه عنى فانى لم أر مثله .

التحرير

السنة الثانية

العدد الثامن والتاسع